# ملح وسكر

ريم ملحم

**ريم ملحم**

تصميم الغلاف: مساحة أدب

كل الحقوق محفوظة 2022

## الإهداء

إلى الأطياف التي عبرت بي أثرت واستقرت بين أضلعي.

إلى الذين ودعتهم وما زال سلامهم عالق على أطراف أصابعي.

إلى الذين رحلوا ولم أضمهم ضمّة الوداع الأخير.

إلى بائعي الأمنيات على محطات الحنين.

## سائل للتلف

هنا الحنجرة المبحوحة ليمامة مذبوحة على أرصفة الأحلام،

هنا حكاية أوراق مزقت كوّرت أحرقت،

هنا الأحاديث الذابلة والذكريات القاتمة

هنا لغز سطور ملئت بكل شيء... عدا الفرح

## عزيزي خفيف الظل

الساعة الآن الثالثة بعد منتصف الليل، الشتاء قارص هنا السماء ملبدة بالغيوم السوداء والمطر ينهمر من كل حدب وميل، الرياح أطفأت مدفأتي بينما يدي ترتجف من شدة البرد، ولم أجد سبيل لدب الحياة بها الا بكتابة رسالة لك عن أحوالي رغم يقيني أنك لن تقوى على فك كلماتها بعد أن خانني دمعي الذي بلل أسطري و بعد أن جف حبري حتى بات خطي باهت.

عزيزي يا خفيف الظل، قوافل من الأحاديث تتسابق بداخلي وكثير من الكلام يتحشرج بين أوتاري بعد أن طال انقطاع رسائلي عنك، تصدعت أحرفي وتشقق قلبي، عيناي حمراوتان من شدة البكاء بعد أن بكيتك بكل زوايا المكان على مصطبة الدار وسطح البيت على أرصفة الطرقات وشوارع المدينة بكيتك حتى انقطع الدمع وابتلت الآهات لن أكذب عليك جاهدت كي أنساك وقفت طويلا على أعتاب النسيان بعد أن عم سواد الفراق زوايا الروح تجاهلت قراءة رسائلك

المتعشعشة في جاروري وقاومت فوضى الذكريات التي تطرق بصخب ضوضاء ذاكرتي ولكنني في نهاية كل ليلة صماء كان حنين منتصف الليل يأكل أطرافي يجذبني إلى هاوية أحزاني فأستلقي مع وجعي ورسائلك في فراشي وأعاود قراءتها دون تركيز حتى يثقل رأسي بمرقدي ويملأ ملح أدمعي وسادتي.

عزيزي، حفظت غيبا كل تفصيلة أسقطتها من كلمة عزيزتي إلى رسم امضاءك فلا تبخل علي بالمزيد...

دمت بخير

## عزيزي يا صاحب الظل الطريف

أجلس الآن على مقعدي الخشبي المفضل بعد أن سقطت الورقة الأخيرة من روزنامتي أتذكره؟ ذاك الذي بقي صامدا رغم ما خاضت أخشابه من عواصف مستوية عليه مع رزم أوراقي وخربشات أقلامي أثرثر معها في اللاشيء وعن كل شيء منفصلة معها عن المكان وأعيش معها في يوم بعيد كل البعد عن الآن حيث كان البرق ينذر بالفراق والغيث فيه ينبئ بالاختفاء بذوبان ظلك وسط حبات المطر وباختلاط دمعي الأسود مع الدوائر المتلاعبة بالماء.

عزيزي، منذ ذاك الأجَل وأنا أفرّ من غفوتي ليلا في موعد ظهورك الخافت وأسير وحيدة في سكون المساء بقلب بالٍ من الغياب بدفتري الممتلئ بك بقدمين حافيتين مشوهتين من شظايا الزمان وبارتعاشة يدين خائفتين من الظلام فكما تدري أخشاه بشدة كما أهاب الهدوء والشتاء ولكنه سبيلي الوحيد لأسترق النظر اليك في عتمة الدجى وعلى أضواء المصابيح الخجولة المبعثرة في ممر الطرقات أرسم خيالك

الأسود على آخر ورقة ثم أمضي في غياهب الغياب وأنا متدثرة بشالي المهترئ من قبضة الرياح وشاردة في ذكرى الرحيل المختبئة بمستودع الوجع.

أتعلم عزيزي، أنني يوميا، وبعد كل تلك التخبطات أدخل في رهان مع قلبي أتحداه أن يشفى منك وأن يكون بعدك قويا ولكنني ما زلت أخسر الرهان، مازلت لست بخير.

فلتكن أنت بخير

## عزيزي يا صاحب الظل الباهت

أنت ذاك الشيء الذي أخوض معارك الليل كي أنساه ولا أنسى، أنت الحديث الاستثنائي الذي أتجنب الكلام عنه ولا أقدر، أنت عمق القصيدة التي أتجاهل قراءتها ولا أفلح، هكذا أنا غارقة بك إلى حد النخاع، وهكذا أنت متضخما بقلبي إلى حد حشاشتي...

عزيزي، هل أخبرتك سابقا عن عدد المرات التي أجبرني فيها حنيني على كتابة الرسائل لك؟ وعن فقدان قدرتي على إرسالها؟ هل أخبرتك عن الرسالة الأولى التي حدثتك فيها عن شوقي المتفشي في جسدي ثم مزقتها، هل أخبرتك عن الرسالة الثانية التي عددت لك فيها الدمع الذي ذرفته ثم رميتها، وعن الثالثة التي أحرقتها بعد أن كتبت لك بها عن مخازن الألم التي أعيش فيها، هل رويت لك أمر تلك الورقة التي سحبتها من رزمتي وخططت لك فيها اعترافا بجنون حبر باهت شارف على الانتهاء ثم خبأتها؟ اعترفت فيها أنني وللمرة التي لا أدري كم استفقدتك، وأنني للمرة التي ما بعد المئة أخرجتك كتنهيدة

طويلة متقطعة الأنفاس، أعلمتك أنني للمرة الألف تعبت من ملاحقة ظلك الخفي، وأنني للمرة المليون ورغم خيباتي المتكررة منك لا زلت انتظرك، أنتظر قدومك كل ليلة بعد أن تخلد قوتي الزائفة إلى النوم، أترقبك لتجاورني بالجلوس، تحت ضوء القمر المهدد بالكسوف، وأنا أتقاسم معك الحديث المترنح بين الغياب القصري والحضور المختار، بين بياض الصفحة الأولى وسواد الأخيرة، بين فرح التلاقي وحزن الوداع، بين وحدة الليل وفوضى النهار...

أجل عزيزي، هكذا أضحى نقش حبك الأبدي في قلبي، شائكا معقدا، كقاعدة رقمية مشفرة الرموز مسلم بها، كنص متكامل غير قابل للتصريف، كصلاة لا ينقصها ركعة ولا يزيدها دعاء وكحلم لا يفسر ولا يخضع لتأويل ...

فلا تبخل على أحلامي بزيارة ولتكن دائما بخير

## عزيزي يا صاحب الدم الخفيف

أوراق زهرتي المخملية هوت على التراب مستسلمة السحب متجهمة تحمل فتات ظلك السماء رمادية تنذر بيوم مليء بالبرد والمطر والنسيم يهرب من الرياح يداعب وجنتي يطبطب على ألمي ثم يرحل بينما أنا أخطو بخطو متلعثم إلى قمة ذاك الجبل في موعدنا المحدد.

أقف قرابة المنحدر أنتظر قدومك طويلا أفتح دفتر ذكرياتي المحتشد بتفاصيلك أشتم رائحتك هنا بين صفحاته أحظى بتلك الوردة الذابلة منتهية الصلاحية أتنهد وأنا أمسك بها، أضمها، أتنفسها بعمق عساني أجد بها ما يروي صدري من بقايا عطرك تلدغ عيني دمعة تحاول الفرار مني أطبق على أجفاني وأنا أهادنها بعدم السقوط أتقدم إلى سفح الهاوية أشرع يداي بالهواء أرفع رأسي عاليا وأحرر كل ما فيّ لينا ديك من صوت متقطع مخنوق، إلى شهيق يجرح الروح من جسد منعدم الحيل، إلى وجه شاحب الملامح، وقلب منكسر يتألم أصرخ ويرد عليّ الصدى تارة وطورا تبتلع صراخي الوديان أفقد أملي باللقاء أنهار

وحيدة بمكاني أضرب الأرض وكأني أعاتبها أطلق عنان
دمعي أنتحب بصوت يتقلب بين الأنين والآه بين الشهيق المكتوم
والزفير الصامت أفضي ما في صدري من ألم ثم سريعا أللم ذراتي أرمم
كسوري أتجاوز ما حدث منذ قليل وأقف بكامل قواي كقطعة زجاج
لم تخدشها أنياب الخيبات أتدثر ثوب كبريائي أمشي منتصبة القامة
وأعاود أدراجي.

عزيزي سأبقى أناديك بكل أصواتي عساك تأتي لأكون دائما بخير

## عزيزي يا صاحب القلب اللطيف

خمس دقائق، عشرة، نصف ساعة، أربع ساعات، لا أدري كم من وقت مضى وأنا أمسك بيدي رسالتك، أنظر إليها بفضول قاتل، بلهفة عارمة، وبيد لا تجرؤ على فضها، أمسح عن وجهي عرق التفكير، أتمتم إسمك بصوت خفيض ككلمة مفتاح أخشى أن تسرق مني، أسمع همسك يحثني على فتحها، أجوب غرفتي بحثا عنك، أهرول إلى الرواق أراه فارغ، أركض إلى شرفتي أمسح الشارع بأنظاري مفتشة عن ظلك، يخيب أملي، أجر خسارتي أوصد بابي، وأعود لمكتبي، أستل مصحفي أقرأ فيه وأبكي، أصدق الله العظيم، وأغلقه، أسرق رسالتك وألوذ الفرار نحو فراشي، أضمها بين أحضاني، أقربها إلى قلبي وأستلقي على سريري، أحدق بالسقف طويلا تدق أجراس الثالثة، أرفع يدي أشتم رسالتك أسألها عنك وعما دونته فيها، أعاود ضمها ضمة الطفل الذي يخشى خسارة لعبته المفضلة، أتشبث بها وأغلق عيناي، أتقلب إلى شقي الأيمن كمحاولة مني لخوض معركة نوم

مؤجل! أنتقل بعدها سريعا لجهتي اليسرى، أفشل في معركتي وكأنني أخشى أن يكون خطابك مجرد هلوسة من أحلامي، أستوي بمكاني، أنير المصباح جانبي، يعم سكون مريب أرجائي وكأن الكون بأسره يريد استراق السمع لكلماتك، أفتح الورقة، أقرأ بتأني وأستمع بهدوء لبحة صوتك المعلقة بين الأحرف، وأنا أتسلل بروية بين بداية السلام الأنيق ومنتصف الشوق الموصوف، بين ثرثرتك المتخبطة وخجلك الذي فضحته السطور، بين بداية اعترافك بحبي المجنون وختام بيت الشعر المرصوص(حبّكِ خارطتي ما عادت خارطة العالم تعنيني) إلى نهاية الخطاب بإمضائك المجهول، أنتهي من مهمتي، أثني ورقتك، أتنهد تنهيدة قلب تختلج فيه الدقات مع الأنفاس، أطفئ النور، ثمّ أغوص بنوم عميق ربما تباغتني به في حلم جميل.

دمت بخير يا صاحب القلب اللطيف....

## عزيزي يا صاحب الظل العنيد

الوقت تعدى الواحدة بعد منتصف الليل، الليل محفوف بحواف سوداء، القمر يغفو خلف الغيوم، الشوارع مظلمة فارغة من البشر، وأنا أهرب حافية القدمين وسط الضباب، مهرولة بخطوات متلعثمة وبأنفاس متقطعة، أدوس على قطعة بلور متكسر، أقع على الأرض، أتأوّه من الألم، تسيل دمائي، أحاول النهوض ولا أقوى، ألمح خيالك على بعد أمتار مني يسير عكس اتجاهي، فينتابني شعور لطيف من الأمل، أصرخ بك بكل ما في جعبتي من صوت، أصرخ وأصرخ دون صدى، يجتاحني خوفي، أرفع يدي المرتجفة الملطخة بالدماء، أضرب مرارا حنجرتي، مرة إثنان ثلاثة، ثم أعاود الصراخ، ولكن دون جدوى_أسمع ذاتي ولا أحد يسمعني_، أدفع بنفسي لأنهض من جديد، ألتفت حولي، أرى عودا من الخشب المبلل متشردا وحيدا أعلى الرصيف، أزحف على الأسفلت المغطى بماء الشتاء، أنجح بالوصول إليه، أمسكه، أغرسه بالأرض بكل ما فيّ من عزيمة، أتكئ عليه، ثم

أقف بقدم عرجاء، وبروح منهكة، أبحث عن خيالك من جديد، أحظى به هناك أمام حفرة ضخمة عميقة تهم بابتلاعه، أركض نحوه وأنا أجر ساقي، تستطيل المسافة بيننا، يبدأ طيفك بالتلاشي، يلهج لساني بالنداء ويرد عليه الصدى، يمضي ظلك مخلفا فراغا في الأرجاء، يؤلمني قلبي، يعلو صياحي، يتصبب عرقي، تتحرر شهقتي، أستوي بمضجعي، أستعيذ بالله من شيطاني، أشرب كأسا من الماء البارد، ثمّ أستلقي مجددا على سريري عساني ألقاك بحلم آخر قابل للتفسير....

دمت دائماً رفيق ظلامي

## عزيزي يا صاحب القلب الحبيب

منذ ساعات وأنا أتصارع مع ذاتي لأكتب لك رسالتي المعتادة، أجلس على حافة النافذة أسمع منها عواء الكلاب الذي امتزج مع صوت البومة المتربصة على غصن الشجرة قبالتي، أدور بنظري بين السماء المخططة والشارع الصامت أبحث بينهما عن أحرفي الهاربة مني، عن كلماتي المختبئة عن عقلي، فلا أجدها... أمسك قلمي أقرب ورقتي ولا أدري من أين أبدأ بالحديث... هل أبدأ بسرد ليالي الباكية، بتخبطي بين استنزاف دموعي واشتياقي اللاذع، أأحدثك عن الغرق بين الأغاني الحزينة ورسائلك القديمة، عن صنعي قلوب من قصاصاتي، عن التقلب بين الوجع الذي فاق ظلك الطويل والحب الذي تجاوز قلبي المريض، أم أروي لك صباحاتي الطويلة التي أجيد فيها كتمان مشاعري، ونفض شظايا قلبي المنكسر، أأقص عليك كيف أجمع مع كل فجر ما تساقط مني في مخاض الليل؟ كيف أزيح عن كاهلي تعب الذكريات، وأنا أخفي صورك تحت وسادتي، وأغلق على رسائلك في

جاروري، أو أصف لك كيف أتأنق بصورة مبالغة وأخرج للعالم بكل كبرياء؟

عزيزي كان من حقي أن تعطيني وداعا يليق بحبي لك، وداعا أقل ألما من غيابك المفاجئ، وداعا فيه نظرة اعتذار، غمرة أخيرة، ووعد بالقفول ، لا أن تذهب دون رجوع...

دمت ودام جبروت وداعك

## عزيزي يا صاحب الصورة المخفية

أعدك أن تكون هذه رسالة جنازتك الأخيرة أما بعد:

ذات حنين مررت على الكتاب الذي أهديتني إياه بمولدي الخامس والعشرون، هششت عنه الغبار بعيداً، وتلمسته بحذر خشية أن تخدشني الذكريات، سرحت بتلك الصخرة التي تصرخ بكل ما فيها من حيل دون أن يصدر عنها أي صوت أو صدى، تنهدت واعترفت بأنها تشبهني، مررت بأصابعي المرتجفة فوق عنوانه_شهقة_ ابتلعت شهقتي وأخرست صرختي أششششش أيتها الأحبال اخرسي لا يجب أن ترتخي بعد كل ذاك الصمود، لا يجب أن تتحرك الحواس بعد كل ذاك الجمود، فتحت صفحته الأولى وجدت أن حبرك المختوم عليها بدأ يبهت، ذاك الذي خان غيابك وبقي هو، سحبت شهيقا كي يروي أضلعي وقرأت إهداءك الذي أبدعت فيه بياءك الملكية (عزيزتي ريمتي حين تتكاثر حول قلبك الأسئلة ويشتد بنبضك الاشتياق اقرئيني هنا) أفلت زفيرا يخنقني، فتشت عن قاموس عشقك المشفر

ووجدته هنا بين العبارات والنقط ( الوتين انقطع والإشراق أصبح ذكريات) تأملت الكلمات حدقت بمعانيها جاهدت بتفكيكها، حتى ذاب فؤادي، انزوى نفسي وفقدت نبضي في متهاتها، استجمعت شتاتي وتابعت عملية بحثي، إلى أن هربت من بين الصفحات صورة لك كنت أخفيتها هناك يوم رحيلك، انحنيت، جلست أرضا رفعتها، قبلتها قبلة إعتذار، وسرحت بها وكم كنت مخطئة حين توهمت أنني نسيت ملامحك فقد اكتشفت أنها طبعت منذ أزل على جدار البال، وضعتها جانبي وأكملت التنقيب بين الصفحات صادفتني رسالة أربكتني (الموت للميت ما هو الا طعنة) انقبض قلبي واستحكمت بي غصتي وصلت للصفحة الأخيرة حظيت فيها على حل اللغز الأخير (الروح قد نفذت) فهمت، شهقت، بكيت، وحاولت اخراج صرختي حتى تنكوي غصتي ولكنني نسيت أنني خسرت صوتي في صرخة الموت الأخيرة....

فلتكن بخير إلى أن يجمعنا الفناء

## عزيزي يا صاحب العيون السوداء

سلام لعينك التي غابت طويلاً ولم تزرني ولو خلسة أما بعد:

لا زالت الساعة باكرة والليل ببدايته، أجراس الساعة التاسعة لم تدق بعد والجو هادئ رغم الأمطار الناعمة التي تتراقص على رؤوس أصابعها، الشوارع الحجرية تعج بالمظلات الملونة والمعاطف الصوفية تهرب من البلل، دخان قهوتي المر يتصاعد من الفنجان ورائحته المخمرة ملأت الأجواء مع صوت فيروز الشادي (صباح ومسا شي ما بينتسى تركت الحب وأخدت الأسى). في حين أنني جالسة على كرسيي الهزاز ذاك الذي يصدر أزيزا مزعجاً للبعض لكنه يؤنسني وأنا هائمة بين بياض الورقة وحبر القلم أصفك بها، أحدثك فيها وأهمس بين فراغات أسطرها اعترافات أخبئها.

عزيزي، لا أدري ما الذي دفعني إلى الكلام لكن أظن أنها آخر مواسم النسيان، آخر مرحلة من بكاء الأصابع، أردت اليوم اعلامك أنني

لازلت أخصص جزءا من ليلي المتآكل لك، أطلق فيه حرية الحنين وأفند فيه الذكرى عن الذكرى وأجمعها، أنني أنوح وحيدة دون سبب يذكر حتى جفت عيناي من فرط بكائي، وتربعت الهالات السوداء تحت عيوني، أنني أعيد محبتك كل دقيقة متسائلة كيف يمكن للقلب أن يحب حد الوجع تاركا ذاكرتنا في مهب النسيان؟ حتى سئمت! سئمت من التساؤلات، سئمت من حالتي المذرية، من ذاك السواد الذي يملؤني، ومن النظر لرسمك المحفور على ورقتي، مللت من الآمال الفارغة والأحداث الخيالية، شبعت من عجزي الساذج، والأسى الواهي، لذا أعتذر منك لن أدعك بعد الآن عزيزا لديّ، وسأعلق بعد اليوم لافتة على قلبي: ممنوع الاقتراب أو العشق.

ولتدم بخير بعيدا عن أفقي...

## مرحبا أرقي العزيز

ثمّ ها قد مر اثنا عشر شهرا على ذاك الفراق، ها هو أيلول يطرق الأبواب، ويعيد ذكريات تساقط أول ورقة من روزنامة الختام، اسمع من هنا رياحه تحث صخرة حزني على الانفراج وتدعم مؤامرة الحنين التي تحاك على الأعتاب، أشهر مضت وأنا أحمل عشرات الأطنان من الهم، مئات النغزات من الألم، آلاف المخازن من البكاء وعدد لا يحصى من ساعات الاكتئاب، مضت وأنا أحتسب الأسابيع مع الأيام، وأنا أجابه في كل دقيقة منها ألف شعور، أبكي بانكسار دون سبب، أمسح دموعي دون إنذار، أضحك من هزيمة النسيان، وأكره فقدان قدرتي على شرح الشعور، أجاري أرقي بالسهر الطويل، وأطاوع نهاري على النوم المتقطع، علني أسعف أحلامي من الكوابيس المختنقة، وأنعشها بعيدا عن ذاك الذي أسمته فيروز يوما مفرق العشاق، لا زلت أذكره، أذكرك وأذكر مشهد الوداع الجاف: العين بالعين، صمت يعم الأرجاء، قطرات المطر تتراقص على أطراف المظلات، حديث متزن،

جمل منمقة متراصة، كلمات متطربة متعثرة الأجزاء، أعذار لا تروي فضول السؤال، ابتسامة متكلفة وتلويحة وداع دون وعد باللقاء.

نعم أرقي العزيز، لا زلت أذكر كل هذا، وأعاني مما يجثو على صدري من أثقال، أتصارع مع نشيجي كي لا يفرغ ما بالقلب من أحمال وأنا أهادن أضلعي كي تسترخي دون انفجار، وأرجو دقات قلبي أن تستقيم بانتظام. فهل تسمح الليلة أن أرتاح دون أن تجبرني على السهر بالاكراه، دون أن تثرثر مع أفكاري عنه، وعن سالف الزمان؟

## عزيزي يا صاحب المعطف المبلول

المحطة الأولى لنهاية العام قد احتدمت، الصراع قائم بين الريح والمطر الغزير، وكما العادة ما من ضحية سوى أوراق الخريف التي تدوس عليها أقدام الهاربين من البلل، وشاحي الصوفي الزاهي يلتف حول أكتافي، كوب قهوتي الذي برد من الانتظار على المنضدة جواري، منديلي الناعم الذي يحمل آثار دموعي المالحة بيساري وقلمي بيمناي المرتجفة يسقط لك مشاعري بعفوية أيامي، يرمي بعشوائية حملي في كل اتجاه حولي، ويقر لك بأقوال لست تعرفها عن حالي، قبل أن تنطفئ شمعتي التي تذوب رويدا رويدا. فتراني تارة أكتب لك بكل تركيز وطورا تشرد عيناي الجاحظتان بالقطرات المنسابة على زجاج نافذتي، تارة يغيب ذهني في حلم بسيط وطورا يحضر واقعي دافنا يده بيد تنهيدتي الملتهبة جارا إياها لشفير حنجرتي رافضا اكتوائي بنيران رحيلك المباغت أو أكون لاصقة لجراحك المتقرحة.

عزيزتي، السلام عليكِ يا فقيدة هذا القلب أما بعد:

هذه المرة أخطأتِ بالظن فلم أنتظر يوما أن تضمدي أوجاعي أو تنثري على أرقي جرعة من غسول قلبكِ الصافي، فقد كنتِ ولا زلتِ الغائبة عن أيامي الحاضرة بتفاصيلي، لا زال خيالك هنا يجلس جانبي، يتأملني، يشاركني شرابي الساخن، يرقص معي على ألحان أغنيتك الاستثنائية ويزيد ارتباكي، لا زلت أنام على تسجيل صوتك الشاذي، أشتمّ عطر شالك المسكر كالأطفال وأمرر أصابعي على صورتك الوحيدة التي لم أمزقها بأقصى حالات انهياري، نعم سيدتي هكذا عشت ولا زلت أعيش، ميتا بين الناس حيا بين بقاياكِ. لكن اليوم ومع لمعان البرق المرعب أقمت لكِ عزاءًا يليق بكِ، حضره سواد ليلي البائس وهزيم الرعد الثائر، عزاءا كسرت فيه قدحك المتميز، أحرقت به ذكرياتك المتآكلة ودفنت فيه مشاعري تحت طبقة الأرض السابعة، إلى أن أضحيت جسدا بلا روح وإسما بلا صلاحية. ولتعلمي يا عزي.. بل يا لعنتي أنني لا أصف لك مساءاتي كي تعودي بل دسست لكِ في جيب هذا الخطاب كل ما استطعت من أبجديتي

لتخبرك أن رغم ما مسحت وما كسرت من إرثكِ المعطوبِ، شيئا منك سيبقى فيّ إلى الأبد مثلما سيبقى كل ما فيّ بكِ حتى يحين الأجل.

## صباح الخير عقلي المرهق

الساعة الآن تشير للثالثة صباحا، جسدي يشتكي من الإعياء ولا زلت لم أنم بعد، أفكاري تتخبط بمحيط رأسي المتعب، تلطم بقسوة شطآن سكينتي وتبعدها عن أجفاني، تخبرني أنها لن تسمح بتذوقي لطعم الراحة أو بتسليمي لأيادي النوم العميق.

أتنهد من أعماقي، أضع رأسي تحت وسادتي وأضغط عليها بكل ما فيّ من قوّة عسى أن يتوقف ذهني عن ثرثرته المؤذية. ثمّ أنتظر... خمسة... عشرة... عشرون دقيقة، لكن دون جدوى، حمم الأفكار تزداد مع مرور الوقت وغفوتي تهرب مع اقتراب بزوغ الفجر، أزفر بيأس، أرمي بالوسادة بعيدا عنّي وألقي بالغطاء عن يساري، أرفع نظري وأحدّق في سقف غرفتي محدّثة عقلي: استسلمت لم أعد أريد النوم، هيا ثرثر، أخرج ما في جعبتك وأسمعني... كم قصة ستروي على مسامعي اليوم؟ كم حدث ستعيده لأذهاني؟ كم سؤالا لديك عن مخازن خرابي؟ كم ذكرى تريد أن تنبش عنها في حاويات أفكاري؟ كم

جرح سترش عليه الملح لأصرخ من آلامي؟ كم وجع ستمثّله أمامي وتقلّبه على نيراني؟..

أراه يصمت من رشق أسئلتي، أبتسم، أرخي ستار أعيني، وأسترخي، فأجد إصبعه ينكزني، رافضا نومي. يتعاظم غضبي، أغادر سريري، وأجلس على أرجوحة شرفتي، أسرح في مكان غير مكاني وأسمع صبري يعتذر عن نفاذه مني، أشعر بدمعي يسيل على أعتابي ولا أملك القدرة على التحكم بمقدار فصوصه أو بمجراه الذي يشق وجنتي، ويسحبني معه للغرق قليلا بمنامي، إلى أن أستيقظ في السادسة صباحا على لسعة برد التي تسللت لعظامي، وشعاع الشمس الذي يؤرق أعيني، مع صوت الأزيز الذي ينخر في أذني، فأجدني قد نمت بمرقدي دون سابق إنذار من عقلي.

## يا صاحبة الشعر الغجري

اقترب الصباح، ولا زال نهام البوم يعوي في السماء، جسدي منذر للسهر، ووسادتي لم تقبل رأسي ليغفو عليها، سهادي يحرم خيالي من طلتك البهية ويمنع عني أحلامي رافضا استضافتك في قصر هلوستي.

عزيزتي، يقال أن الكتابة اثناء الوجع كالموت الرحيم، يميتنا بأقل تكلفة من الألم، دون التخبط في معركة النجاة. نعم أتصدقين؟ يشبهونها ولا يعلمون أننا نلجأ إليها في أوقات ضياعنا بدعوة صريحة منا لكل نقطة تسيل من حبرنا كي تخدش موضع نزيفنا، بدعوة لدماء أعيننا كي تسير على أوراقنا مازجة أحرفنا ببقايا دموعنا... ولهذا السبب أنا الآن أكتب لكِ أو ربما لروحي عنكِ، دون أن آخذ بالاعتبار حدود الهامش أو موضع النقاط، سأكتب وأنا لا أدري عن ماذا سأحدثك أو من أين سيبدأ سطر الكلام، دون أن أعلم ما البداية أو إلى أين سأصل بالنهاية، سأكتب رغم تزاحم الأحاديث على أعتاب

الشفاه وتوهان صوتي بين جروح الأحبال وخطوط الأوراق...
سيدتي هل سمعت سابقا عن بكاء الرجال؟ بل هل جربتِ يوما البكاء دون سبب معلوم، دون أن تدري لما أو على ماذا تبكين؟ أنا فعلتها الليلة وبكيت، بكيت وليس في بكاء الرجال عيبٌ ولا نقصة انما فورة صدق جرت على وجهي، بكيت بكل حرقة طالت نبضي العليل، بكل ما أملك من جهد مريد، بكيت رغم رفض عيناي للنحيب وكممت صرختي بكل ما أملك من إصرار عنيد، ومع كل صرخة كنت أتخفف من ثقل أحزاني وتراكمات همومي، بكيت وأنا أنتزع مع كل قطرة إما سببا أرميه تحت أقدامي أو خذلانا أقذفه هناك جنب حاويتي، رميت قذفت وانتزعت، إلا أن هناك أشياءً لم أذكرها ولم أحكي لكِ عنها، فمثلا ما زالت ربطة شعرك تحاصر معصمي وأشتم منها رائحة البندق المعطر، ما زالت بعض حلواكِ على طاولتي تنتظر أن تلتهميها بنهم الأطفال، وما زلت أنا كما عاهدتني متعطشا لعيناكِ، وأجيد التشبث بأمل اللقاء.

غاليتي، عند هذه النقطة صحوت من سكرة يأسي المسموم، وأنبت غبائي على ما اعتراني من ضعف مهزوم، تركت القلم يفور على رزمي، كورت رسالتي ورميتها خارج سلة مهملاتي، مستنكرا عريّ وخزي مشاعري أمامك، مانعا عنك شهادة كلماتي حول لحظة كسرتي، رافضا منحك فرصة التشفي بآلامي...

فعذرا على الازعاج سيدتي ولتكونِ دائما بخير

## مرحبا يا حلوة أكتوبر

أكتب لكِ اليوم بوقتٍ مبكر عن المعتاد مؤكدا لك أنني سأقفز ورائك دائما على عكازي الأبجدي أشاركِ تفاصيل يومي وأروي لكِ آخر قصص قبل النوم.

عزيزتي، منذ الليلة الأولى لفراقنا وشعور الفقد يحاصرني، ينقد عليّ ويرميني على أعتاب العتمة المتفشية في الأرجاء، لكنه اليوم قد زاد من وحدتي دافعا إياي كي أترك مقعدي وأصنع لنا قدحا من القهوة نتشاركه مع مغيب هذا المساء، أستمع إليه أشعل موقدي وأغليها، أسرح قليلا باللا شيء، فيرتفع صراخها تفور، تنساب وتطفئ شعلة الموقد، فأكيل الشتائم، لي ولحظي وللبنّ الذي غافلني. أبدل رأيي، أستل معطفي وأهرول نحو المقهى المتواجد على آخر الشارع غير آبه بالجو الماطر أو البلل، أسير بلا هوادة أرفع رأسي سامحا لدموع السماء بغسل وجهي، أتوه كالضائعين فوق أوراق الخريف دون أن أرى خطاي أو بمن يمر جواري، أشعر بنبضة تهرب مني وتسبقني

بخطوتان فأراكِ هناك أمام باب بائع الحلوى الذي تفضلين. يخبت قرع قلبي الأعرج، تتسارع نظراتي عليكِ، تتفحصكِ بتأن، تمر بروية بين ضحكتك الملونة الزائفة، وبين البقع السوداء المستوطنة أسفل عيناكِ، بين شعرك الغجري الثائر المخبأ تحت قبعة فرنسية، وبين نحول جسدك الواضح رغم معطفك ذات الفرو السميك...

يا حلوتي، تأملتكِ وشردتُ بكِ بلا ملل حتى تسللت نسمة باردة مداعبة وجهك مطلقة سراح خصلة قرب رموشك فكانت كفيلة باصطدام العين بالعين... حينها فقط تشتت التركيز، ساد السكون في المكان تعالَ دويّ النبضات، ارتبكت الأطراف وتصاعد لحاث الأنفاس ...

دمتِ بخير يا وجعي الوحيد

## عزيزتي يا صاحبة المنديل المعطر

إنها الورقة العاشرة التي أقلبها ذات اليمين وذات الشمال عرضاً وطولاً، قبل أن أشوهها بخربشات ليس لها معنى، وبكلمات بلا تفسير، فمن يمسك قلمي الليلة هو وجع الوحدة الممتدة الشالّة لأطرافي، يتكئ عليه يهش عن قلبي الألم، ويواسي نفسي بعد أن كنتِ الوحيدة التي تواسيها.

عزيزتي، بعدك تاهت منّي بوصلتي بين ممرات الأيام الخاوية وأضعت ذاتي بعالمي الموحش الذي تحول لمدينة مهجورة تسكنها الأشباح، تتناوب فيها الغربان مع الرياح على العويل، تئن فيها اللافتات المنحنية الجاثية على أعقابها وتتأوه فيها الأبواب من صديد الأقفال، تهتز فيها هناك أرجوحة بقيت يتيمة وتتكسر فيها هنا بمنتصف الصدر الأغصان المنتحبة من شدة الحنين. بينما ذكراكِ متربعة داخل رأسي تنخره كصداع نصفي ينهش راحته وتزيد من لسعة وجع غيابك الذي يغص مختنقاً في زوايا أضلعي، تعزز من ملوحة أدمعي في فمي،

ويشوّش عليّ رؤية ملامحك المرسومة في اللوحة التي لم يسعفني حظّي لأهديها إليكِ، فأترك التمرد لصوتي صائحاً بكِ عودي وكفاكِ عبثاً بي، عودي فما عدت عصبيّاً كما السابق، وودعت السجائر التي تكرهينها منذ أمد، عودي فقد أدمنت طقوسك، واستبدلت صباحاتي بتفاصيلك، استعضدت عن فنجاني القهوة بكوب من الشوكولاتة الساخنة التي تحبين، وعشقت الإنصات لفيروز أثناء اختلاس الشمس لشباكي، عودي، خذيني إليكِ، ولا تدعيني أغادرك أبداً...

حبيبتي أرجوكِ، أجيبي سؤالي وأخبريني، هل ستعودين حتى أترك لجام خيالي كي يختار بين إلقاء سلام مع ابتسامة مرتجفة وبين إطلاق سراح الجنون ليعبر المسافات قابضاً عليكِ في عناق يلملم ذرات الروح؟ أم ستتركينني لتميمة الشوق الملعونة وترميني كالميت مهمشاً في صندوق الدمى الفاقد للحياة؟

دمتِ دائما أملي

## رسالة إلى نفسي

أنا العزيزة، كعادتي المسائية أقف الآن قرابة نافذتي بينما سماء المدينة معبقة برائحة الأرض الرطبة، أحمل بيدي فنجان قهوتي اللاذعة وأخط بالثانية رسالة لكِ أوثق فيها زمان إخفاقي ومكان جرحي، أحفظ فيها خدوش ذاتي وأبقي فيها دموعي حية بعيدة عن جفافي، أرمي فوقها وفوق سطوري سلاماً إليكِ من قلب تعب من كثرة الكسر، من يد حاولت مراراً أن تكتب لكِ وفشلت في كل المرات، من روح أضاعتكِ بين أطراف الأرض حتى توالت الأيام وأنتِ تائهة منها بين مئات الأطنان من الهمّ وجبالاً من الغم.

نفسي العزيزة، قبل أن أطمئن عليكِ وأشكوكِ منكِ إليكِ، أو أدخل معك في أحاديثنا الليلية وجدالاتنا البيزنطينية، أود أن آخذ رأيك الليلة وأسألك أسئلة تنهشني... لما لم تنامين بعد؟ لما تتركين جسدي منذرا للسهر؟ ألم تشعري بالملل؟ أيعجبك حالنا الممزق هذا؟ هل تروق لكِ وحدتنا هذه؟ أراكِ من هنا متعبة، مهمشة من الداخل،

جوفك خالي وتتوقين لتأخذين قسطاً من الراحة، تنقمين على وحدتك الاجبارية وتكرهين اعترافاتك لسقف غرفتي، تنفرين من بوح الأسرار عن مقدار أرقك وحجم قلقك وتبغضين تكرار حكايات الشوق والعتاب واللوم، كما أسمع قرعك على الأبواب وأنت تهيمين على وجهك تبحثين عن مأوى لضياعك، وأشهد بانعكاس مرآتي تخبطات عيناكِ، حيرتك، وتشتتك بين ضجيج الذاكرة ووحدتك المستسلمة بين بياض الأيام الصاخبة وسواد عتمتك الصامتة.

يا نفسي العزيزة، لا أدري إن كنتِ تشعرين فأنا قد فقدت توازني أحنّ إليكِ وأحتاجكِ إلى جانبي، أحتاجكِ لتنتشليني من توحدي مع دفتري و اشتقت لضحكة عينيكِ البريئتين، أحتاجكِ لتزهري داخلي واشتقت لوجهي المنير، لمرحي المضيء وذكرياتنا المعطرة، ويشهد الله أنني بحثت عنكِ كي أعتذر لكِ ولكن يبدو أنّكِ سئمتِ من شتاتي ومستاءة منّي أكثر مما تخيلت مع أوراقي.

فأتمنى أن تكونِ بخير إلى أن ألقاكِ.

## يا ساكنة هذا القلب المعطوب

أعتذر عن تأخري في كتابة رسالتي المسائية ولكن قلمي قد تاه مني وكأنه اتفق علينا هذه المرة، وها أنا الآن أحاول للمرة الخامسة عشر أن أكتب اليكِ ولكن دون فائدة، أفتش عن فتات أبجديتي، أتساءل إن كانت ستصلك أم ستلاقي حتفها في مخرطة النسيان ودون انتظار اجابة أتابع كتابتي...

عزيزتي، أهلكني هذا الوجوم المطبق على صدري، وأشقاني الصمت الذي أخرس كل شيء حولي، غاب صوت حرفي بمتاهات أحزاني وتفشى سكونه بين ثنايا روحي حتى بتّ لا أسمع سوى صخب أنفاسي، حفيف ورقتي، خربشات حبري وتصفيقا حارا لخيبتي، من قبل جمهور من الهوامش والأسطر وخراطيش الأقلام، بينما أنا مشتت في دجى الليل الأسود، ماضيا سارحا في مخاض أفكاري، مفتشا عن حل لمعادلة النسيان، حتى أجدني في قبو ذاكرتي، أتهادى على رسل نحو ماضينا، وأنا ألملم الفراغ الذي وضع بيننا وأجمع ذخيرة الأعذار،

أقترب خطوة بعد أخرى فأحظى بكِ مختبئة في منعطف رأسي، تثيرين الشغب في أخمص قلبي وتفتعلين الضوضاء في فضاء عقلي، فأتمنى حينها لو أننا نعود غرباء مرة أخرى، أن نعيد الارتباك اللقاء الأول، أن نتعارف من جديد، أن أسالك عن اسمك وتسأليني، أن أبحث جاهدًا عن أغنيتك المفضلة ومشروبك الأزكى، عن الكاتب الذي تحبين، ورائحة العطر الذي تضعين، وأن اختارك للمرة بعد المئة خليلة لهذا القلب المعطوب.

عزيزتي ها هو غسق الصباح يتمدد في السماء معلنا انتهاء وقت ثرثرتي، ف كآخر وصاياي لكِ: رفقا ببقاياي رفقا بحناياي ورفقا برسائلي التي لا تكف من أن تحمل هذياني إليكِ.

دمتِ فشلي المحتوم

## عزيزي ديسمبر

إنه السابع عشر من لياليك الطويلة، صباحاتك الباردة، أحاديثك الدافئة، أغانيك الحنونة، وأكواب مشروباتك الساخنة، ليالي مضت وأنا أحاول على مقدار ما انصرم منها أن أكتب إليك، لكنني فشلت في كل المرات مختنقة في منتصف الكلمات. أعلم جيدا سيدي أن ما من عذر للكتابة لكن يخيل لي اليوم أن عذري الوحيد هو الزهايمر الذي أصاب قلبي بعد وعكتي الصحية التي أفقدتني السيطرة على حواسي، حتى عدت كسابق عهدي لا أشعر بالخوف من خوض السمر معك ولا بالتردد من أن أثرثر إليك كل شيء يمرّ بي.

عزيزي، سيد الشتاء بامتياز، ملامح برودتك بدت أكثر وضوحًا الآن، كنزاتٌ صوفية بألوان رائعة تجوب الشوارع، رقاقات الثلج تهطل بخفة على أسطح المظلات، أضواء الأشجار تضيء بياض ليلك الاستثنائي، وأنا أقف على حافة شرفتي، أراقب حالهم، رغم الازرقاق الذي يبّس أطراف أصابعي، أتدثر بمعطف سميك، أغلق عيناي،

أرفع رأسي للسماء، أسحب نفسا يثلج صدري، أستمتع برائحة الحطب المشتعل وشذى الكستناء المنتشرة في المكان، أنصت لصوت الأجراس التي كسرت صمتك الرتيب وأسترق السمع لصدى الضحكات التي همست في أذني، أتخذ منها فاصلا صغير ، وأذهب برحلة في كوكب سبيستون حيث كنت أسابق النهار بلا تردد لأضيع في عالم الأرقام، وأفرح حين أجد نفسي في دروب ريمي، أسعى لأن أكتشف الغامض والمثير، وأنافس لأكون الأفضل بين الجميع. ثم أصحى بعد قليل وأنا أعي للعالم الغريب المعالم الذي صفعني، أهرم عمري وخط الشيب في قلبي حتى أعدم وردة شبابي في ميدان حيي، فأترك الازدحام وأعاود مرقدي لأمنح ليلك قسطا كبيرا من البكاء

أما الآن يا عزيزي ديسمبر.. سأودعك إلى لقاء آخر قريب بعد أن دقت ساعة السندريلا، فَدعني أذهب لأحلامي قبل أن يتوه مني حذائي الزجاجي و قبل أن تتحول عربتي ليقطينة كبيرة تجرها الفئران

...

دمت محطة حنيني

## عزيزي سيدي المحذوف

مر وقت طويل على آخر رسالة خططتها لك، ليس تجبّرا مني بل بفعل ذاك المخدر الذي اجتاح حواسي، فصل روحي عن جسدي، غيّب عقلي عن كياني، وشتت زوبعة مشاعري في سراديب ليال ليس لها أول من آخر، حتى صحوت اليوم بنغزة من أرقي على انفجار طال كل ما فيّ، داعيا أناملي لتغثي إليك أخباري،

عزيزي، وصلتني منذ أيام رسالتك الأخيرة وقرأتها الليلة للمرة العاشرة قبل ان أضمها للأوراق المتناثرة حولي، جالسة لساعات وساعات أناظرها، أعبث بها الواحدة تلو الأخرى، وأعيث الخراب بالرفوف المهجورة في مكتبة ذاكرتي، أمسك بعلبة الحلويات التي تقاسمناها ذات لقاء، ثمّ بالوردة التي انتهت صلاحية أوراقها منذ أن قطع حبلها السري بفعل الانتظار، أحصن تيار دمعي الذي اندفع من جار كبدي مصطدما بألغام خوف وشوق عالقة بوتد حلقي، أكتمه بصعوبة في فخاخ جوفي، أقطع بيدي أوتار شهقة قد تنفلت من فاهي

فتعود بشراسة،بقوة،بقسوة وتتمدد على بلاط صدري ناشرة هزيمتي على ربوع وجهي المشوّه المحترق، تاركة أشلائي منثورة بين جسور الأضلع تتخبط بين بياض البداية الملوث وسواد النهاية المطرزة بالفراق. أشعر بظلك حولي يقترب مني يلامس خصلات شعري يربّت على رأسي يطبطب على كتفي، أقتفي أثرك، أتحسسك ولا أجدك، فأنفض ريش الخيال عني، أكيل الشتائم لحبي البالي وأثور على مقتنياتك والأوراق، أكور الأولى وأرميها بنار الموقد، أمزق الثانية بأسنان الألم والآه، أدهس بحوافر قدمي على الأغلاف، أضرم الخراب بأرجاء غرفتي، أهوي بكتبي على أرض بنيت من وهمي، أضرب رأسي بالحائط لأجبر طيفك على الجلاء من محطة عمري، أهشم زجاج عطري لأمحي خطوات طيفك عن أفقي، أصرخ وأصرخ إلى أن أفرغ صندوقي من ضعفي وأناتي، بعد ذلك أحدق بما ظهر من ملامحي على قطعة بلور نجت من هياجني، أنتصب بقامتي، أعيد ترتيب إعرابي، نازعة عني رداء علم المؤنث الممنوع من الصرف لأجل حب ضمير غائب عن واقعي.

## يا صاحب الضمير المخدر

رأسي ثقيل على كتفي، مدينته المنكوبة تعج بالضوضاء رغم السكون المطبق من حولي، هرج ومرج يعصف هنا وهناك، قطيع من الكلاب تهرول على ذاك الجسر الذي يفصل ويربط أجزاء دماغي، عواء ذئاب مزعج وصفارات إنذار غليظة تتعالى بنصف كرتي المخية الأيمن، جيوش من النمل تدبدب فوق النصف الثاني، نقار خشب يقضم أعصابي التي تلفت من السهاد والسهر، تاركا طائر النار يشعل فتيل أوهامي بالشرارة الهاربة من الشمعة المهددة بالزوال وحيدة في زاوية غرفتي، بينما أنا أشد الرباط الملتف حول رأسي، بفعل الصداع اللعين الذي صدّع جبيني، غاضة بصري عن الازرقاق الطفيف الذي ظهر على صحيفة وجهي، أنقر بريتم رتيب طاولتي أنقب بقلمي خشبها البالي، أحدث فيها ثقوب تشوه معالمها وأعضعض على وريدي كمجنونة فقدت السيطرة على نفسها.

عزيزي، برغم المطاحن الضاربة في أعالي أبراجي إلا أنني أملك بجوفي مخزونا هائل من الكلمات يجبرني على التنازل عن القرع الممل ويجرني من قلبي، من شعري ليرميني على أوراقي كي أفضيها إليك ولأقر لك عن كل شيء يطرأ على عقلي دون خوف دون تردد دون أن أُفكر بما سيحدث بعد ذلك... لا أعراض تظهر على جسدي ولكنه منهك حد الورم من المرَض بِك، مرضي بك الذي أورث روحي الأحزان والحمم حتى شابت قبل الأوان، مزاجي أضحى سيئا، وعصبيتي تتحكم بأفعالي، جاعلة مني فتاة بائسة مستسلمة، مدللة باكية على أشياء تافهة، مشتتة من الفقدان مترنحة باليأس، أنازع بصلابة أحجية أجهلها كقطعةٍ خزفيةٍ براقة لا يعلمُ ما في داخلها من هشيمٍ سوى الله، أكبت انفجارات تكاد أن تقتلع عنقي، أغرق في تسربات سوداء تجرني إلى القاع وأهرب من النوم خشية أن تدفعني أحلامي إليك، أهيم في الليل، أفتش عن فلتر لدماغي، عن خريطة للنسيان عن تلميحا أو نقطة أبدأ منها فلا أجد، ينهشني بحثي وتشهد معاناتي جدران غرفتي تترنح الصور أمامي، مشاهد متشابكة تأتي وتختفي، تتراقص الأشياء

في ذهني دليل أني ناعسة ببادرة فريدة من نوعها، أترك قلمي، أفترش ورقتي و أتوسد شوقي لأكمل بحثي أو ربما حديثي هناك

عزيزي، التفكير يكون بالعقل فلماذا يؤلمني قلبي؟

دمت بخير

## الرسالة الأخيرة

عذرا يا صاحب الظل العزيز، مجبرا أنت اليوم على قراءة كلماتي المتخبطة، الكارهة، الباكية، العاشقة إلى آخر نفس، فهذه هيَ رسَالتي الأخيرة ولنْ يكونَ بَعْدَها رَسَائلْ، هذهِ أخر غَيْمة رماديِّة سأمطِرها عليكْ ولَنْ تعرف بعدها المَطَرْ، وآخر حديث عنك خفي سأتمتمه مع الظلام قبل أن أحظى ذات صباح كئيب ببريد أوراقي ملقى على أعتابي وقبل أن أشيع جنازتك إلى مثوى النسيان...

أيها السيد الذي طوق بظله عمري، ربما سيكون هذا خطابي الأول الذي تمنحه شرف القراءة بفضل عنوانه المستفز ورغم علمي اليقين بكرهك للثرثرة والكلام الكثير الممل إلا أنني لن أصمت الليلة فبداخلي مدن من الأحاديث، وأسطول من الصراخات بعد أن جعلتني جثة واقفة مستندة على الوجع تقتات من عذابها المر و تعيش كُل يَومٍ كمَا لو أنّهُ يَومها الأخير قبل أن تقتل علىٰ يَدِ الذّاكِرة، التي سُتلقي جُثتها علىٰ مَسرحِ الجَريمَة الصّامت دُونَ شهُود. غدا وللمرة

الأولى سأحتسي فنجان قهوتي ساخنا قبل أن أنساه وأنا أسهب في ترجمة كلماتي إليك_شعور لذيذ من الراحة يراودني_ لا سواد لا تخيلات لا قيء فكري لا أوهام ترهقني بعد اليوم أما بعد غد ستفتقد أنت رسائلي فلم أعد تلك الأميرة التي تهرب إليك في خضام العتمة وما عاد قصر خيالك ملجأ لأفكاري، هل أبدو لك الآن شامتة؟ ممم لا بأس فأنا بالفعل شامتة بك، غاضبة منك، وناقمة عليك... ألم يتسع ليلك لتكتب إلي ولو جملة واحدة من كلمتين مفادها كيف حالكِ؟ ألم يؤنبكَ ضميرك لتعاجلني بزيارة أو حتى إتصال فارغ من نبرة صوتك مليء بصدى أنفاسك؟ أرأيت لأي مدى انتظرت منك خيطا أرفع من الشعرة لترضي شوقي المتضور ؟ صدقني عزيزي لا أعاتبك الآن فالعتاب لمن نحب ولا أسألك الآن لتجيبني فما عدت أتيق أي إجابة منك ولا بات يجدي نفعا أي رد، أنا فقط أعبر عن فضول رافقني طويلا ليس إلا. لايهم، إنسَ كل ما سبق، وذكرني عما كنا نتحدث؟ آه رسالتي الأخيرة، قد حسمت قراري سأمضي بحياتي بعيدا عن ظلك الذي غزا خواطري أما أمنيتي الوحيدة باتت ألا تأتي بعد اليوم فأنا لم

أعد أنتظرك وقلبي لم يعد يحتمل مزيدا من الندوب، لذا عليك أن تكون وفيا هذه المرة ولا تعود...

لا دمت بخير ولا سلاما اليك

## رسائل مؤرشفة

حزينة هي... أجل حزينة، باردة وربما منتهية الصلاحية.. تلك الرسائل التي نزفت حبرا من أواصل القلب ومداد الشعور ولم تصل، تلك التي كتبت وتاهت منها الطريق، التي أرسلت بعد فوات الأوان بعد أن أقفل مكتب البريد أو مات المرسل إليه...

هنا بعض منها، هنا حفنة من الرسائل المؤرشفة الملفوفة بشريط قاتم، الملقاة بجارور معتم في مكتب مهترئ الأخشاب صدئ الأقفال... هنا الندم والكلمات الأخيرة.....

## أختي العزيزة

هكذا توالت الأيام خراب في خراب ليال ميتة ليس في صدرها هواء ولا في جسدها حياة، وحدة قاتلة ولا انيس لي سوى رسائلي التي أكتبها إليكِ رغم عدم تنازلكِ لتكتب ردا ولو كان باردا. لا أدري إن وصلت إليكِ وتتعمدين تجاهلي أو أنها سقطت من ساعي البريد، أم أن رصاصةٌ استقرت داخل أحشائِها ومزقت كلماتها وأرعبت مضمونها؟ لا يهم.. فأنا كما عاهدتني لا أخفي عنكِ شيء لذا لن أكف عن محادثتك عبر شرفات الأحرف المبتلة وبين السطور المحملة بالشوق إلى أن تجمعنا _الضيعة_ مرة أخرى

عزيزتي، صديقتي وأختي التي أنتظر يومي أن ينقضي لأسرّ لكِ جملة و تفصيلا ما حدث فيه... تعرفين لا أحب كثيراً المقدمات ، ورسالتي هذه لن تختلف عن الماضيات ، كيف حالكِ؟ اشم رائحة وطني الصنوبري في حبر قلمي ، وأنا اكتب إليك واتذكر كيف كنت قبل أعوام حينما قررت أن أتي إلى هنا، وقتي هنا كسول لا يمر، فارق عيني

النوم لساعات طويلة وفكري المشغول لم يهدأ ، ظهري يأن ويزن متكسر و خطواتهُ متثاقلة، كل من رآني أشفق علي حتى غراب الظلال ينعي حالتي، دخان ثقيل يخنق صدري، جسدي الهزيل يرتعد من برودة غرفتي وحلقي في خضم الموت يشهق رياح الليل ويزفر دموع حارقة بللت ورقتي، قلبي يكاد يقفز من فمي خوفا من الظلام المحيط بي، دنياي تزداد شحوبا مع كل طقطقة من سيمفونية أصابعي، رئتاي تمتنع عن استنشاق الهواء هنا وتستقبل حنين نسمة مثلجة من جبالنا تلك التي كنا نشكو من صقيعها المجمد للأطراف، وبطني العزيز مغلقة أبوابه يرفض الطعام بمفرده رغم الجوع الذي يعزف أوتاره على معدتي، يكره الكروسون الفرنسي ويطالبني بصحن اللبنة والزيتون الأخضر مع فنجان من الشاي المخمر الذي ما يزال مذاقه يتردد بين شرايين دمي، يبحث عن أمي ليطالبها برغيف صاج آخر و بإضافة القليل من الكشك الطازج ويفتش عنكِ لأقرص أذنك... آه يا أختي أنا في وحشة لا تنتهي، كل شيء ناقص لا يكتمل، متعبة أنا من

باريس، من سلالمها المتحركة الباردة، ومتعبة من عقلي الذي تتخمر به الذكريات مع الأشواق..

عزيزتي لا أعرف كيف لي أن أتقبل البقاء وأنا لا أحتمل هنا حتى الهواء

سلامي إليكِ ودمتِ بخير

١٩ كانون الثاني ١٩٨٠

## سلاما أمي الحبيبة

الساعة الرابعة حربا، أعذريني غاليتي، لا أملك الوقت الكثير لأخصّكِ بسلام يليق بكِ أو لأنتقي إليكِ أخبارا تهدئ من روعك، خاصة أن الجميع نيام بعد ليلة طاحنة وأنني متأبطا خوذتي العسكرية بيد وورقتي بالأخرى، فكل شيء غير متوقع هنا ومحكوم بالمفاجئات، التسلل المباغت، الرصاص المنهمر، القصف المدفعي مجهول المصدر، والخوف من قذيفة قد تسقط مصادفة بقربي كلها توقعات ممكنة تدفعني لأكتب بسرعة وبلا تفكير

غاليتي، نحن الحطام البشري لمصارعة ديكة مصبوغة بألوان متباينة بالوجه وموحدة من الخلف، نحن وقود الحرب التي يوقدوها من أجل صراع على كرسي ألبسوه ثوب ديني لينهبوا البلاد والعباد، ليستبدوا بأرضنا، ليستعبدوا شعبنا، ليهينوا تاريخ أجدادنا ليعربدوا بحاضرنا، وليفصلوا مستقبلا على مقاس ذرياتهم حتى يكملوا مسيرتهم السوداء من بعد أن يأخذ الله أمانته أو يأخذ بها خصمهم بأمر

مِنْ مَنْ كان حليفهم دون أن يقفوا ولو للحظة ليسألوا عن حال من رموهم في نار الحرب أو عن حال من أقضوا مضجعها بخوفها على أخوها وزوجها وأبيها وإبنها.

أمي، لا أذكر كم المناورات التي قمت بها ولا عدد الجبهات التي تنقلت بينها، ولست نادما على أي واحدة منها، لكن لو الأمر بيدي كنت سأستعيض عنها بمناورة واحدة على كل من يستخدم أشلائنا سلّم ليصعد به إلى ذاك المجلس اللعين أو ليزيد من عداده في بنوك البلاد الغربية، أو ليتسكع أبنائه في مقاهي خارج الوطن، فلا تصدقي إن قال لكِ يوما قائدي أنني نلت الشهادة التي لطالما تمنيتها، فهذه ليست هي...

دمتِ بخير

سوق الغرب ١٠ أيلول ١٩٨٣

## رسالة مسجون

عزيزتي، الصباح يناهز الآن ليلي على البلوج والاوان قد فات للنوم العميق، عيناي جاحظتان في المكان حولي، جفوني السمجة وأضغاث مشاعري المتعجرفة تعاندني، ترفص ترك سهادي أو الابتعاد عن أرقي النرجسي الذي رماني بأغلال صدئة فوق حلبة صدري التي تضيق بخلطة من كلمات متلعثمة الأطراف مبعثرة النقاط المنبوذة في حاوية حنجرتي الغائبة عن الوعي، الفارضة لسطوتها على سراديب أفكاري المعبقة برائحة صور تقرع بصخب طبول رأسي.

يا أُنْسي المفقود، "تسعة وسبعون" هذا ما هو مكتوب على قميصي الأكحل من الظلام الراخي لستاره على زنزانتي، ذات الجدران المشققة المطروبة بالأنين والتعذيب، المطرزة بطلاء متآكل بالعفن متأرجح بين بقع الفحم والأسماء المتباينة المحفورة بالحجر. مرهق أنا هنا من شدة الأوجاع التي تعتصرني، ومن الوحدة التي استنزفت ما تبقى من صبري، فوضى زجاجية تسكنني، أفكاري متناقضة تتراقص بين

السواد والبياض وعنقي معلق من حبال خلايا ذاكرتي، روحي شاخت من وخز البرودة التي تغرز بحقد مخالبها داخلي، وطنين القطرات الهاربة في انسجام من الصنبور تستهلك طاقتي المنهكة منذ شهور. محاكمتي الأخيرة بعد ساعات، أشعر أنني على حافة الموت بعد أن فشلت حنجرتي بإقناع المحكمة ببراءتي، بعد أن فشلت بإجبار الدنيا على تقبلي، نعم سأستسلم اليوم لعالم لم يتركني لقدري، سأستقبل الموت بصدر رحب، وسأنام في سرير أمي حيث لايجرؤ أحد على الاقتراب مني، ولتعلمي يا حبيبتي، أنني لست بحزين فلا تبكي علي و إياكِ ثم إياكِ أن يصور لكِ عقلك المهموم أن خطي متعرج بفعل رجفة الخوف التي سكنت يدي. أما الآن، اعذريني لأنني مكره على المغادرة، فها هو قرع النعال يقترب مني، مجبرا حبري على وقف نزيفه، معلنا عن انتهاء وقت رسالتي مصرحا بدنو موعد أجلي...

أذكريني بالخير ولا تدعيني أكون مجرد رقم في متاهات غابة اللاقانون.

القاهرة ٤ شباط ١٩٨٦

## رسالة إلى سيدي الصامت

عزيزي، عليك سلام الله والمسافة بيننا،

منذ ما يقارب الساعتين وأنا أتمرن على ملء هذه الصفحة بيدي اليسرى، أدربها على الرقص بإتقان على حافة الورقة، فمرة ترتجف يدي قرب ورقتي، ومرة أنحرف خارج هامشي، مرة تئن أصابعي وبأخرى أخطئ بحرفي. لكن رغم فشلي الخمسين وخطي الرديء و الوقت الطويل الذي استغرقته بالمشي متوازنة ما بين السطرين لم أقبل إلا بالكتابة إليك، لذا أعتذر منك مسبقا وأعتذر من نظرك الذي قد يرهق من خربشتي ومن فك طلاسم عباراتي

عزيزي كتفي الذي مال ولم يبقَ لي، لست بخير التعب والألم واضحان على معالمي، يمناي مجروحة ثقيل عليها قلمي، بقع مرقعة بين الإزرقاق والاصفرار تزين بدني، كل أعضائي تطالبني بالراحة وأنا أصر على الثرثرة معك عما حدث اليوم. عزيزي بتمام الساعة الثانية

وعشر دقائق، عزف حنيني لجدتي أوترا على قلبي، كان الدرب خاليا، شرّدت نظري عن إتجاهي، أمسكت هاتفي، وإذ بي أفقد السيطرة على الطريق التي مادت بي، تملكني خوفي، زاغ بصري، عنف رأسي من اللطم، الضجيج علا ثم تبعثر في الفضاء، وهششش كل شيء سكن فجأة، السماء ما عادت تطفو فوقي ولا الأرض صامدة تحتي، ممددة على شقي الأيمن، دخان ثقيل يتراقص أمامي، كومة حطام صامتة تطبق على جسدي المسجون بمقعدي، وصدمة الموقف تملّكتني، ماذا حدث؟ كيف؟ متى؟ و بأي سرعة يا أنا؟ لا لا، لا وقت للأسئلة الآن، وحيدة أنا هنا، لا ناس حولي، عليّ الخروج، تبا الأبواب معطلة مقفلة، اه النافذة، أضغط على كبسة الزر، اللعنة عليها ترفض التجاوب، أضرب الزجاج أجرح أصابعي وأعاود الكرة، عنيدة لا ترضخ لمحاولاتي، حسنا، لا بأس سأصرخ عسى أن يسمعني أحد، _النجدة_ بالله عليّ أين صوتي لما لا يتعدى حنجرتي؟ لما لا أسمعه سوى في رأسي؟ فكري لا تتعجبي! أجل أجل النافذة الخلفية يدوية، فتحتها، وقفزت خارجا... الآن يمكنني الانهيار، الآن أحتاجك

لأبكي لحظات الرعب التي أنهكتني ولكن... أين أنت وأين أنا؟

رأسي بعيد، بعيد جدا وكتفك لا يصل...

أووه يا سيدي، جيش من البشر هنا حولي لكن ليس لبقائهم طعم ولا لون، وكأن الألوان كلها تنتظر قدوم ظلك لتزهر...

عكار العتيقة

٢ شباط ٢٠٢٠

## حبيبتي أمي

أدري أن رسالتي هذه قد تصل إليكِ وهي ملطخة بالتراب أو الدماء، وأدري أنها قد تتضمن الكثير من الأخطاء الإملائية أو الكلمات التي لا تمت للفصحة بصلة ولكن ماذا بوسع ولد لم يتعدى الخامسة من عمره أن يعلم عن قواعد النحو والصرف، فسامحيني على أخطائي كما كنتِ تسامحيني على مشاغباتي.

أمي، الظلام حالِك هنا وخوفي من العفاريت التي تسكنه وكنتِ تروي لي قصصا عنها يرعبني، رأسي مصاب ينزف وأنتِ لستِ بجانبي لتضمديه، جسدي يؤلمني و لا أعلم إن كانت مجرد رضوض أم كسور، يداي مجمدتان من البرد تطالبان بدفء حضنك بعد ما مرّ عليّ من ساعات طويلة وحدي أسمع فيها مرة صوت المعاول تحفر لتقتربوا مني، ومرة أخرى صوتكِ الحنون يطالبني بالصمود فأمني نفسي بالعودة إليكِ.

لكن، يا ماما أرى من هنا طيور بيضاء جميلة لا تشبه التي كنت أراها في السماء قادمة لتحملني معها إلى الأعلى، ولست خائفا منها فأنا أذكر حديثا حفظته من شيخ القرية أن أطفالُ المؤمنينَ في جبلٍ في الجنةِ، يكفلُهم إبراهيمُ وسارَّةُ، حتى يردَّهم إلى آبائِهم يومَ القيامةِ". لذا سأستسلم الآن وأنا أدعو الله أن يصبر قلبكِ إلى أن ألقاكِ، سأذهب وأنا أدعو لكل ريان مشرد مخطوف وحيد على سطح الأرض أن ينقذ من ظلمها قبل أن يصبح بباطنها...

ماما، أعتذر لكِ عن كل الأوجاع التي سأسببها إليكِ ودمتِ بخير

المغرب، شفشاون

٥ شباط ٢٠٢٢

## رسالة إلى خوفي

عزيزي الخوف، أنزوي مع نفسي في هذه اللحظة لأكتب لك خطابا من روحي قبل أن أتجهز للرحيل بعيدا عنك، سأبث لك على حوافه المتقاطعة شكواي مني إليك، وسأملؤه بالعتاب عليك دون أن أهتم إن كانت ورقتي طولا أو عرضا، لكن فلتعلم بداية أنني لا أناديك "عزيزي" بسبب معزتك الغالية على قلبي ولا بسبب العشرة الطويلة بيننا التي كنتَ فيها رفيق سوء يكبل بأصفاد الرعب أضلعي بل لأنني أراك الآن مجرد شعور بغيض مثير للشفقة يخترع الذرائع ويستعطف هواجسي كي أخضع إليه.

صديقي، تتراصف في بالي خيباتي المولودة على يداك، المركونة بخانات عقلي المهجورة المتخمة من الرطوبة، المختلطة بين أحلامي المعتصرة وآمالي الزائفة المنكسرة على أعتاب قَبْوِ الهراءات الساذجة المخلوقة من تجاعيد الزمن، المخططة بأكاذيبك المُعَنْوَنَة بالحماية والقلق التي منعتني بها من أشياء أريدها وجرفت بها الكثير من أمنياتي، نعم اكتفيت منك

ومنها لهذا سأقهر عدوانك المطبق على صدري منذ هذا السطر
سأضغط بقوة على كلمات الوداع كي تتألم، سأجهضك من مدار
مشاعري كي أتخلص من لعنتك وأدفنك حيا على ورقتي كي أستمتع
بأنينك اليائس، سأشردك بين السطور وأحفرك حفرا بين الفراغات
كي يتبدل شكلك و يتمزق معناك مع حروفك، فلم يعد كياني يتيق
الرضوخ إليك ولا يود خاطري التورط معك بأي موقف بعد الآن.
وللأسف يا سيدي، أدري أنني لن أستطيع منعك عن زيارتي وأنني
سأشعر بوجودك حينا وستطرق باب فَوْضاوِيَّتي حيناً أخرى لكنني
رغم ذلك سأتجاهلك، سأغلق بوجهك مخارجي ولن أحني إليك
رأسي، سأشتت تفكيري ولن أعيرك اهتمامي، لأنك لست سوى جبانٌ
ضعيف لا يقوى على زعزعة سُبُلي فإن كنت بعد هذا الخطاب لا زلت
تريد تضييع وقتك السامي بالسمر معي دعني أخبرك مسبقا أنني لم
أعد ذاك الشخص المنشود...

عزيزي، ستجد في نهاية الورقة خربشات حاولت ان اعكس فيها
شعوري إليك فلا تستغرب....

مصر، كفر الشيخ

٢٥ فبراير ١٩٩٤

## فقيدة قلبي

جدتي الحلوة، الساعة الثانية بعد منتصف الخيبة، طاقتي المزيفة نفذت وقواي الخادعة خارت، أمسيتي عابرة تحمل كأس البكاء والعويل، حلق ظلامي شائك فيه غصة ضياع خيمت على شتى أرجائه المعمرة، طرقاته موحشة تعتليها رائحة ذكريات داكنة مُرَّة خالية من حبيبات السّكر التي لم أعد أملك حيْل لأصنعها أو أشتريها، صورتنا الجماعية قبالتي مطرزة بآثار ضحكات متناثرة فقدت بين أزقة سموم ثاني أكسيد الكربون وورقتي هذه آخر ما أملك على طاولتي، لا أدري إن كانت رابحة أم خاسرة لكن رغم جهلي سأغامر مع ركام حبري باللعب بها.

عزيزتي، لا أدري أين أنا، يبدو أنني صعدت منذ أشهر بالقطار المجنون دون انتباه، خائفة وحيدة هنا، حالتي يرثى لها، أشعر بذبول أطراف قلبي البائسة، وبملامح وجهي الفاترة، رحلتي هذه سريعة أكثر مما ينبغي، الأيام فيها تتسابق هاربة من المسامير الصدئة باحثة عن

نجاة والفراق فيها بات أسهل من كسر قدح الشاي، رأسي فارغ لا يحو شيء معبأ بالتِّيه، تراودني فيه من بعيد أشرطة مشاهد بكماء حية مشلولة الحركة، أتنبه فيها الآن لمستور غافي، لعفونة مختبئة خلف الستائر، وبصمات متسلل ترسم وجه غاضب على الواجهة القابعة على مقربة من إطار جمعنا الغفير، لكن لساني معقد مثقل بقلة الحيلة، يرفض التنبيه للواقع المعدوم، هي غفلة دقائق فقط وبلا استئذان اندلعت ألسنة اللهيب التي بدأت تفتك بحقائق مختبئة، النيران في كل مكان دخان من هنا، غبار من هناك، خيوط مقطوعة متدلية من السقف فوقي، وجوانح باتت رماد بين أقدامي، ضجيج الضحكات سقط في بؤرة الجحيم وضوضاء الفوضى علا، صيحات الفرح تناهز الموت، الوضع شاق مطحونٌ بالهلاك، إسعافات أولية للانقاذ، صواعق كهربائية، مرة إثنان ثلاثة لكن الأوان قد فات المحاولة فاشلة كل شيء انتهى وسجلت ساعة الوفاة

جدتي، كُل الذينَ ودعتهم مازالوا عالقين على معصم يدي لم يروقني الوداع ولا أريد اكمال الرحلة أخبريهم أن يعيدوني إلى رصيف المحطة...

لبنان، عكار العتيقة

٢٧ شباط ١٩٢٢

## رسالة من فتاة عجوز مترفة لطبيب نفسي

سيدي الطبيب، أستسمحك اليوم بعدم رمي رسالة فتاة عجوز مثلي تفتقد ذاتها، تسير تائهة في متاهات الفوضى وهي تتشبث بغصن شجرة مكسور من نقر الغربان فيه، مفتشة عن نقطة، ذكرى أو حدث لتحيي ما مات منها في سجون نفسها، وأعدك سأحاول قدر الإمكان أن أجمع كل أشلائي المفقودة المتناقضة وكل مكوناتي النفسية المتضاربة لأنمق كلماتها وأسجعها بطريقة منظمة قبل أن ألقيها إليك كي لا تبدو لك مبتذلة أو تتأفف من سأمها فتتركها للغيم يسترجعها مع أمطاره الشاحبة.

سيدي،ممم منذ قليل وأنا أدون حروفي وأتعمق معها انكسر قلمي على مرأى ورقتي البي... التي كانت بيضاء قبل أن تغشاها سطوري الحمقاء المنزوية، فأنا يا سيدي، لا أعي في أي زمان وقعت، لا أين البداية ولا كيف السبيل لإدراك النهاية، ملايين من الخرائط في رأسي وأنا أجهل أين موطني وكأن عباءة الضياع فصلت خصيصا لأجلي

وشال الكآبة طرز منذ ولادتي على مقاس رقبتي، غريبة هنا حملي ثقيل وآلام نفسي تخنقني بشدة، تقتلني ببطء وتؤجج انسلاخي عن أنا الماضية، و الضباب الأسود يلاحقني يحاصرني في لوحة كئيبة مملة مكررة بخطوط متنافرة متابعدة مقلقة، أفكارها مضطربة تدور بدوامة مبتورة ذات الألوان الباهتة والعنوان الغافي أما طقوسي يا سيدي، فهي غريبة عن عادات البشر، أقيمها منذ سنين، وأتلاشى بها عن منطق الوجود المتعارف عليه، فمثلا حين يعتري الضيق صدر الناس يلجؤون إلى البكاء ليتخلصوا من جرعهم السلبية وليشحذوا أمانيهم أما أنا فأغمّس دمعي في متاهة النوم بإرادتي المعتوهة أركع بصمت مجحف حتى أنساني دون أي محاولة مني لطلب الراحة جهرا أو همسا كما أن لذاكرتي الانتقائية رواية أخرى تشل حركتي تنتزع من أعماق شعوري كل تمتمة حزينة ولحن كئيب تعشق النبش بحماقاتي وتنتشي بفتح جراحي وهي تعصف بي في جحور اغترابي...

يا سيدي، أرهقتني الكتابة وأرهقني التفكير بمأساتي، ان كنت تعلم كيف تنتشلني من كل تلال الحزن ارجوك افعلها وطهرني منها ولو من

باب الاستعطاف فأنا لا أضمن أن لا تحمل لك رسالتي القادمة وصية انتحاري...

بيروت، لبنان

٦ آذار ١٩٩٥

## رسالة من معلمة

سيدي الرئيس، الذي أخبرتنا بأننا ذاهبون نحو الجحيم أما بعد:

لن ألمس الليلة قلمي الذي خضت لأجله معارك طويلة مع السهر والأرق، سأتركه بعزّه شامخا اليوم وسأستعيض عنه بوجوه المعلمين المنهكة، أحلامهم المحترقة وأرواحهم المرتعشة لأشوّه نعومة ورقتي هذه ولأبعث لك مع هامشها الدامي الطويل وخطوطها الهافتة البليدة برودة اليأس التي تملكت قلوبنا المترفة، حتى أنني سأكون عديمة الذوق ولن أعتذر على سرقة بعض الدقائق من سراديب وقتك الثمين فهذا يعد حقي الذي حفظته لي مادة دستوركم العريق.

سيدي المستمع، قد يكون هذا اليوم يوم عمل، نوم أو حتى سرقة عادي بالنسبة لك ولكنني في هذا الوقت تحديدا أنا محرجة مما ينتابني من شعور الذل والعري والخزي، ويرعبني حجم الهموم المكدسة في عليّة جسدي تلك التي أخرجها كزفرات أروي بها حكايا رسول علم

قطعتم يداه ربطتم لسانه ومزقتم كراريسه، فقل لي يا سيدي هل اعتراك ولو لحظة ربع ما اعتراني، هل وجدت نفسك تحت الأقدام ولو لمرة، لمرة واحدة فقط، يداس عليك بحذاء وزير تسلم أكبر حقيبة للنهب، أو تركل بقدم ولي أمر طالب من بين فصل يحمل ثلاثين غيره، أو من فوج آخر يتكدس بأربعين أو من ثالث يعج بالخمسين؟ دعنا من ذلك، قل لي يا سيدي، هل تجرأت يوما ونظرت لمعلمك نظرة استخفاف، أو اتبعت خفة دمك لتهين من لقنك حرفا؟ أتعلم كم باتت كلمة معلم مثيرة للضحك، ومدعاة للشفقة من قبل الطلاب قبل ذويهم؟ نحن أصحاب الفئة المستضعفة في هذا البلد نحن أصحاب المعاشات التي لم تعد تساوي أجر علبة سجائر لطالب فاسد وكل ذلك بفضل حضرتكم، بفضل ضميركم الذي أشك أنكم تستحوذوه من الأساس فلا عليك المهم أنكم تبذلون جهودكم لأجلنا، أعلم أنك تراني أهذي يا سيدي لكنني اتخذت قرار أن لا اسكت بعد الآن فأتمنى أن يأتي كلامي بثماره لأن رسالتي القادمة حتماً ستحمل لك بعضاً مما يصدع رأسك...

لا سامحك الله ولا دمت سالما

## رسالة إلى مرض السرطان

صديقي الخبيث، رغم صداقتنا الوطيدة التي جمعتنا منذ سنة وبضعة أشهر إلّا أنني لم يسبق لي وراسلتك شخصيا ربما بسبب خوفي منك أو برغبتي الخفية في الهروب من أيامك لكنني الآن وأنا أراقب تساقط آخر أوراق خريف عمري متمددة على سرير أوجاعي بثوب الشؤم منتظرة جلستي العلاجية الأخيرة ورغم آلامي المستعمرة قررت أن أمشي على مساميري المسننة وأواجهك ندا بند، دون أن أهتم إن كانت يدي التي لم يبق منها شبرا لم ينخر ستتعب أو إن كان الصداع الذي ينتمي إليك سيهاجمني بغتتة رافضا استكمالي لكتابتي لأن جل ما يهمني في هذه اللحظة أن أخبرك صراحة و بكل ما فيّ من حيل ودون تزييف أنني لست بخير.

أيها الجندي الخبيث الذي استفحل بأحشائي مستوطنا غصبا ببدني حتى بات يختال متكبرا يسرح ويمرح بكل دناءة دون خجل في أرجائي... النار تسري الآن في جسدي تحرق ما تطال من أوردتي،

عظامي تئن وتزأر من الألم تقرع بعزم عظامي، حلقي جاف يرفض الطعام الذي أضحى بلا مذاق في فمي وأنفي يرفض أي رائحة مجبراً معدتي على خوض معركة الغثيان اللعين الذي أرغمني على تمني النوم العميق وربما الموت الأبدي أحيانا. صديقي هل وقفت يوما أمام المرآة دون أن تتعرف على انعكاسك أو يتعرف عليك؟ هل تحسست قبلا ملامح وجهك الشاحبة المنكسرة عديمة الحياة ورويتها بسيل من الدموع مع تمتمات بالحمد الكثير؟ هل سمعت همهمات بكاء صامت وتمتمات دعوات خافتة لأجلك؟ أنا وقفت رأيت وسمعت، كل يوم منذ أن زرتني على غفلة مني، فعلتها وأنا أتساءل عما صنعته بي؟ كيف حولتني من تلك الأنثى المفعمة بالمرح المنطلقة العاشقة للصباحات، وما تحمل معها من نسمات ودندنات فيروزية ممتزجة برائحة القهوة العريقة، إلى هذا الجسد النحيل الميت الذي يكره الإشراق وما يحمله معه من تراكم لشعري على وسادتي وتساقط لخصل حاجبي ورموش عيناي واحدة تلو الأخرى حتى أصبحت كالطير بلا ريش كلوحة باهتة بلا معالم وألوان، لكن إنسَ ذلك وأعلمني أوليس في قلبك ولو

ذرة رحمة إتجاه البراعم البريئة الذين أربكت خطواتهم الأولى و أدخلتهم بمعركة أكبر منهم حتى أتلفتهم وأهلكت دموع أمهاتهم...

زائري السليط، رغم ذلك لا تهتم دعك منهم، مني ومن معاناتي وتساؤلاتي _هذا أمر خرج من كتفي_ فها أنا أسمع الآن صوت أسلاك السرير المقابل لي، ها أنا أرى انتصارا جديدا لك، وها هو ملك الموت يخرج توا من غرفتي متبخترا بعد أن اقتنص حياة صديقي العشريني اللطيف.

مستشفى اوتل ديو، لبنان

١٠ حزيران ٢٠١٣

## رسالة إلى خائنة

ساحرتي الشريرة، أمسيتي باردة منهكة من الأرق، مستنزفة من وحدتي الأنيقة، ومتعبة من الجو المخدر بالخيانات، سحر أسود ضياع وتعويذات تتراقص مع ذرات الهواء على بلور طاولتي المليئة بأوراقي التي أخبئ عنها جعبة زفراتي المتقطعة وتنهيداتي المتألمة، أدفنها قسرا تحت ريش وسادتي، قبل أن أنصت لجرحي ذات المعالم المشوهة كي أدون لك للمرة الأخيرة، الأخيرة فقط، أقسى رسالاتي دون التفكير بعنوان مناسب لها أو بمراعاة علامات وقوف رغم علمي باستهزاء حبري مني قبل استهزاء أقراني، لكن ماذا بوسع خاطر لم يعي لما خاضه من صدمات أن يفعل بعد أن ترنح بداخله أسطول من الكلمات التي أوجعت نبضي نغزت قلبي وأيقظت أناتي لأكتبها على استحياء مني.

يا لعنتي، أعتقد أني سأفاجئك إذ أني لن أرسل لكِ اليوم ولا بعد الغد كلمات الأسف والإعتذار لن أفتش لك عن أعذار ومبررات بل إنني

الآن بالذات أفكر في طريقة لأبرهن لك أن هذه آخر مواسم خطاباتي الوفيرة الموجهة بأحرف معدودة إليكِ ، سأخرج اليوم عن صمتي العليل دون ملابسات أو ترددات، سأحمّل قوافلي اكليل اعترافات فراقنا الأبدي وأتخلص من هذا الحمل المقيت فقفي هنا على الناصية المليئة بالندى واجعلي بيننا فاصل واهي ثم تأملي وجهك المصلوب فوق دفتري، المنتظر لحكم اعدام خائنة أحلامي، التي كتبت فيها ما لم يكتبه عاشقا قبلي، اسمعي صياح لومي الثقيل الذي تزيد زيارته من نزيف ألمي، تؤجج حسرتي وتلهب ندمي حتى أصيح بفضائي يا ليتني ما كنت إنسيا يا ليتني كنت ناسيا منسيا، قبل أن اترك الحصار لغصتي المتغذية على خوفي، وابذل جهدي كي أحمي عقلي المجمد عن استيعاب الأشياء من طبول تقرع على مقربة مني تعاندني تهجم ببسالة وتضرب بمطرقتها على أوتاري إلى المفرقعات المتفجرة في أرجاء مقبرتي المشتعلة في سماء أفكاري، أصم أذناي أنفض رأسي يمنة ويسارا أرفض حقيقة غدرك أترك الجمهور المصفق لخيبتي بكِ، أمشط الطرقات باحثا عن أغنية تصف وجعي، أقف على قارعة الشارع أغنيها بملئ ألمي بصوت

باكي، أحجر على دمعي داخل أهداقي وأنا أكتسي صمتي المخمول المتأرجح ثم أعاود أدراجي وأنا أعتذر لدقاتي على عفونة الأمنيات المسربة، أعتذر لنفسي على ماض ضائع بين درفات الخذلان المرقع أعتذر لروحي على عمى ذاكرتي، أتجرع دعواتي أردد بحرقة لعنتي عليكِ أتقمص كبريائي وأمضي بعيدا عن بقايا رمادي...

يا بلائي، يا أجبن ما رأت عيني لم يعد العد تصاعديا بل بات عكسيا، سجِّلي وقت رحيلي فأنا يحق لي أن أكون محورا لا خانة احتياط، ولا تتعجبي من مراسلتي لكِ فما حدثتك إلا بغرض العلاج منكِ، أستحق أن أستجمع قواي بعدك كما يستحق فؤادي أن يشفى منكِ.

لبنان، ٢٧ آذار ١٩٩٩

## جدتي الحلوة

أيتها النائمة طويلا تحت التراب،

لم يسعفني صبري اليوم كي أنتظر المساء لأحدثك، فقد سبقني بكائي بالثرثرة إليكِ وأنا أنوح ساعاتنا الماضية مستنجدة بدمعاتي كي تبث حزني إليكِ، بعد أن تعطلت لغتي على شفاهي، بعد أن خذلتني قسرا أفكاري وخانتني زورا كلماتي المرتجفة بين أصابعي الرافضة لمراقصة الثمانية وعشرون حرفا من أبجديتي.

جدتي الحلوة، اعلمي بداية أنني لا أبكيكِ اعتراضا إنما اشتياقا حبا واحتياجا، لذا دعك من المقدمات الفارغة التي لم أجيدها يوما والتي تستنزفني أكثر من أن تساعدني على إخراج خليط المشاعر المتناثرة بين أوتاري، فأنا أريد أن أعترف لكِ اليوم بسر صغير: عزيزتي إنني ورغم مرور ما يقارب السنتين على انقضاض القبر قبضته الوارمة حول جثتك إلا أنك لم تغيبي لوهلة عن بالي، ما زلتِ تزورينني في أحلامي،

تغمرينني بعمق و تبتسمين لي، ما زال أسمك مدروز بين صفائح جلدي وأثير ضحكتك يتردد محتلا ركنا فسيحا من قلبي. نعم قد أكون اعتدت غيابك حينا وتناسيت غيابك أحيانا ولكن وجهك ما زال عالقا وسط كل هذه الفوضى الزمنية، ما زال يزيد ألمي ويرش الملح على جرحي، كلما صارعت ذاكرتي الهشة تجاعيد الأيام، كلما تردد على أذني صوتك الهارب من عالم الخيال، ونظرت لمكانك الخالِ منكِ. حتى أنني كبرت بعدك كما لم أكبر من قبل، كما لو أن زمن ولادتي مقرونا بزمن رحيلك، كما لو انني لم أعرف ما معنى موت الأماكن، موت الأشياء إلا بعد أن غدرنا المكان باجتماعنا دونك، وخدعتنا أمسيتنا بتخدير ذكرياتنا التي ما تزال معشعشة بين تشققات الجدران، فهنا كنت أبحث دائما عن جرعة دفء إضافية بين راحتيك وهناك كنت تخبئين لنا الحلوى، أما إلى جانب الموقد كنت تدثيريني إن سهت عيني سهوا، وفي هذه الزاوية تحديدا كنت أتشبث بكِ حين تنتهي زيارتنا لكِ.

عزيزتي، ها هو النص يتبخر دون أن يحصل على ردا منكِ، تؤلمني فكرة رحيلك، و ذكر إسمك متبوعا بالرحمة عليكِ، لكنني رغم ذلك لن أقول وداعا بل إلى لقاء قريب بين جنان السماء حين يحين الموعد...

عكار العتيقة، لبنان

٢ نيسان٢٠٠٠

## رسالة اعتذار

صديقي العزيز،

خذ هذا اعتذار آخر عن تأخري بكتابة رسالتي لك مع أن الأمر ليس بيدي فأنت على دراية تامة بكرهي للحظات الضعف التي تفوح منها رائحة قلبي المحترق لكنني في النهاية استمعت لصوت عنادي، مجابهة ضجيج رأسي وأفكاري التي لا تكف عن الدوران في مدارك، متغافلة عن كل الأحداث التي تحيطني، مشتتة ذهني عن الندوب التي تشوش صدري، لأكتب لك كلماتي الشرسة هذه المرة دون ترتيب، ربما من شدة غضبي، ربما من كثرة يأسي أو من استفحال شوقي، لكن رغم كل تلك الربمات الفوضوية أأكد لك أنني لن أتخاذل عن رصّ أحرفي على مائدة إنتظاري...

عزيز قلبي، لا تتعجب من ديباجياتي المكتظة بالهموم، فها أنا الآن وحدي بعز صفوتي فارغة من كل شيء ممتلئة بإحتمالات قدومك،

مرتدية ثوب تشاؤمي راسمة على صفيحتي ملامحي الباهتة، محاطة بطيفك من كل حدب وصوب، صارفة نظري عن وجوه تعرفني ولا أذكرها وأشخاص لا يصمتون، عن ضحكات أطفال لا تنتهي و ثرثرة النساء على الطاولة جانبي، سارحة بك إلى حد الهلاك، مدركة أنني أدمنت مراسلتك دون أن أتلقى ردا واحدا منك منذ أن هجرتني، تاركة للمرة الأولى خانة الإسم خالية لأغدقها بدموع انكساري، وأنا أغمس رغيف أملي في وعاء كآبتي متناولة إياه قسرا مع تجرعي قدحا آخر من فنجان خيبتي باكية على ذاتي المجنونة بعد أن عجزت عن التعرف عليها، بعد أن خذلني وصلك وعبث الغياب برفاتي. لكن حقيقة ليس هذا ما يهمني فما يشغلني الآن هو طريقة اعتذاري لنفسي بعد أن شعرت بأني مدينة لها بكل حججي، ندمي وكلمات أسفي، عن كل أذى طالها من جراء حبي لك، عن كل مرة كان يتوجب عليّ أن أسلك دروب الصراخ عوضاً عن إلتزام أزقة صمتي، عن كل موقف حجرت فيه حشرجتي في سجون أضلعي، عن كل شكوى طويتها في حشى كتماني عوضاً عن معانقة بوحي، عن كل مرة آثرت فيها

الصمود بدل من انهياري وسأترك لها توّا قرار قبول اعتذاري أو التمرد عليه مكشرة عن أنياب قسوتها بوجه تخاذلي...

صديقي، دعك من كل هذا، ولتسمح لي بإخبارك مسبقا ألّا تضيع وقتك بزيارتك لي بعد كلماتي هذه، فأنا لن أعود إلى أدراجي مهما حدث، لن أتورط بحنيني إليك بعد الآن، وفي المقابل أعد ذاتي أن هذا الخطاب لن يكون الأخير وأقسم لها أنني تعلمت درسي، أنني سأقدم لها فروض الولاء والطاعة وأنني سأحبها أكثر من عشقي لك...

الخليل، فلسطين

١٠ نيسان١٩٩٢

## رسالة اعتراف

يا صاحب القلب اللطيف،

أقفز في هذا الصباح الباكر الدافئ، خلف ظلك الحبيب وأنا أستدل على ملامح وجهك العزيز، راسمة بأصابعي المراهقة على زجاج نافذتي المقطرة بأنفاسي المحمومة حروف اسمك المدروزة على صفيحة جلدي المحتضنة لروحي الحالمة، مشتمة معها من هنا رائحة الياسمين مجهولة المصدر الذي يزداد شذاها انتشارا مع كل نفحة للريح، طارقا بقوة على أبواب قلبي مبعثرا أوراق نبضه غامرا روحي بالسرور، تاركا كلماتي تسقط مني سهوا على أعتاب مقدمتي البيضاء لأخلدك على دفتري المليء بالحب

يا كتف قلبي الثابت، قليلا ما أتجرأ لأعبر لك عما يجيش في داخلي لكنني اليوم تحديدا لن أكتب لك بل سأكتب من خلالك، فأنت المختبئ بين ضوضاء سطور رسائلي و هدوء الفراغات، بين صمت

الفواصل وتنهيدات علامات تعجبي، أنت عاصمتي التي ألوذ بها لأحلامي الماطرة و دعائي الساكن المتوغل بسواد تجهدي. عزيزي أصدقني قولا كيف اجتاح حبك أعمق بقاع الروح، و أنبت الهوى في ترابي الصافي، متى استطاعت عيناك النيل من حربي مسلوبة الراء حتى بتَّ رئة جديدة أتنفس من خِلالها؟ حسنا لن أهتم بالإجابة فالأهم هنا النتيجة الأخيرة أنك استويت سلطانا لعرشي، لهذا أنا مدينة لك الآن بأن أفلت يدي لتنطلق وترص لك اعتراف مشاعري المولودة، مخبرة إياك أنك بدايتي الرائعة ونهاية الخاطرة، أنك حديثي السري و معجزتي الاستثنائية، أنك بلسم يساري وأجمل أشيائي، فحين أتيت، أتيت على مقاس قلبي تماما مشيدا منه وطنا عظيما يليق بك، جئت ضربة حظ في الدقيقة التاسعة والخمسون من وحدتي، جئت بإحساسك بنبضك بشعورك بأحاديثك بإبتساماتك فتخيل لي وكأن الحياة تعتذر لي عن كل شي، أما حين عرفتك ولامست بكلماتك نبضاتي، لملمت بالعشق شتاتي وانتشلتني من قعر أحزاني ملبسا إياي معطف أفراحي فأحببتك كما لم أحب من قبل.

عزيزي، لديك شيء مُختلف شيء يجعلني أقعُ بحُبك كُل مرة، شيءٌ خاص بك يحيط بي من كل حدب وصوب ويتعلق بي وحدي.

كل عام وشجرة ياسمينك تكبر في قلبي...

عكار العتيقة، لبنان

٢٠ نيسان ١٩٢٠

## رجاء أخير

عزيزي،

في هذه الليلة الماطرة المطحونة بالانهيار، المجبولة بالصمت، أنا لا زِلت هُنا بمفردي منسية في زاوية جدراني الباردة، أتبلل بذكرياتك المسمومة أتحسس قلبي النابض بدمه المتكسر وأسأله عن أحواله أمسح على جوفي الخالي من وعد يواسيه وأهدهد لهاثي المنهك من الانزواء، أناظر بنصف جفن ناعس إلى رف كتبي المغلف بالتعب وأقلب بيد مثقلة بالضجر صفحات رواياتي باحثة عن اقتباس يكتبني إليك، أتنهَد... وأنا لا أعلم أي جُزء مني في هذا المساء يودُ وصفي أولًا.

وا لوعتي، الوقت يمضي بعكازتين يمر عليّ مرور الكرام، وأنا باسطة يداي على طاولتي التي شهدت كل أحرفي وأسندت كل رسالاتي إليك، أسبل أهدابي بعد أن حظيت بمبتغاي وأخط لك بين أسطري

رجائي الأخير، _أستحلفك بالتوقف عن المحاولة بعد أن بت بملء القلبْ لا أُريدك_ أعود معها للحظة الصفر، أتوه معها بين مشاعر ملعونة غنت لك يوما على أوراقها أشعار وضمت بين جناباتها عتابات ترجمتها، ضحكات وصفتها وأحلام رسمتها بلا ألوان، أرمي في حبري همي الأخير بعد تجردي من غلالة الأوهام التي ظللت نظري دهرا وقبضت على رقبتي عمرا حابسة إياي في دوامة خطوطها متباينة متعارضة و شخوصها مضطربة، أرى فيها تجبر قلبك الملعون الذي أخرجت لأجله كل حصادي من بهجتي براءتي صدقي واضعة إياها تحت طوعه مع كل حاجاتي، أحظى فيها على أكوام آمالي التي رميتها على أعتاب بابي فظلت بمكانها تبكي تناديك، وألتمس فيها غصتي التي أعلنت يوما ندمها وعادت بعدها بمدينة أشواق غصبا تناجيك، ألمح من خلف كواليس عزلتي توبتي التي دارت حول ذنبي مراراً وكلما قطعت شوطا من المغفرة ارتدت كالحمقاء نحو عاصفة عشقك تبغيه. يضيق صدري أسأل نفسي ماذا فعلت بذاتي ولمن أشكو جريمتي بحق كبريائي الضعيف؟ أطير من يدي كطائر فك خيطه

وأعلن هروبي منك بأرواحي كلها ممتنة لكل جراحي التي أورثتني إياها...

وا قصتي، هل علمت الآن لما الموت رحيم؟ لأنه واضح لا يخذل، حاسم في قراره، لا مجال للتراجع فيه، لا اختيار عودة ولا أبواب مواربة إنما رحيل...رحيل أبدي فقط...

عمّان، الأردن

١٣ أيّار ١٩٩٣

## رسالة إلى ميتة

جدتي الحلوة،

مرحبا ثانية، وقبل بدئي بالثرثرة معك أريد أن أرسل إليك قبلة طويلة كتلك التي وضعتها قبل عامين على جبينِك البارد في آخر لقاء لنا بهذه الدنيا وأنت تتلحفين بثوب الجنة الأبيض وتغوصين في نومك الأبدي.

يا فقيدة قلبي غصة عمري وحزني الدائم، في الحقيقة يوجد بداخلي طابور من الكلمات وأود إخبارك بالكثير والكثير من الأشياء، لكنني الآن بالذات لا أذكر منها شيء، لا أعي منها سوى عثرات أدمعي عشوائية مشاعري وصمتي غير المبرر الذي يأخذني عنوة في جولة حول سبع مئة وثلاثون يوما انقضوا بغيابك، مر خلالها أحداث جمة افتقدناكِ فيها و افتقدنا لوجودك حولنا، حقيقة لا أعي كيف مضوا، ولا كيف صبرت على عدم رؤياكِ فكل ما أذكره هو انتظاري لخبر

شفائك وصدمتي بفاجعة رحيلك، رهبة عزائك التي ما زالت حاضرة في بالي ووجع قلبي الذي أجحظ أعيني طوال الليل راجيا أن تكون أحداث الساعات المنصرمة مجرد كابوسا من نسج خيالي، لكنني مع مرور الوقت اكتشفت أن غيابك حقيقيا لا غبار عليه المسجد أعلنها وصوت الإسعاف أكدها، جثمانك أمامي، وأصوات البكاء تحاوطني، حينها شعرت بثقبا أسودا هنا في أقصى يساري و ألمي بات بلحظة مر _ كيف رحلت بهذه السرعة ودون إنذار بحق الله؟_ وبين ليلة وضحاها بات تسجيل صوتك على هاتفي كل ما أملكه من أثرك مع بعض صور لا تثمني ولا تغنيني عنك لكنها تربت على ألمي كلما يبلغ الشوق مني مبلغه و كلما أحن لتجاعيد يدك لدعواتك لطيفك لرائحة حجابك لضحكتك ولحكاياتك القديمة.

عزيزتي، حنونة أنتِ حتى بموتك، ففي كل مرة أحتال على النوم كي ألقى خيالك تأتيني أنتِ بالأحلام مبتسمة تطمئنيني عن حالك، وتروين عطش عيوني لملامح وجهك، رحم الله روحك التي مرت كالنسمة ولا ضرت وعزائي لقلبي الذي يفتقدك.

الكروم، لبنان

١ حزيران ١٩٩٢

## رسالة إلى الحياة

عزيزتي الحياة،

للمرة التي لا نهاية لها لا أدري ماذا أكتب، حائرٌ كأن جعبة حروفي نفذت، أفكاري مبعثرة هشة أكثر من وضعي الحالي، مرحلة جديدة من فقدان الشغف عمت أرجائي ولا أدري أحقاً مللت أم فاض الحزن مني أم انني تائهاً بشعور أضخم من النقص أقسى من الكسر وأصعب من أن تترجمه جملي، فكل ما أراه في هذا الوقت هو بقايا ساعة موسومة بالشفقة، دقائقها متلحفة بزمهرير الزمن، حيث بات كل شيء هادئ ساكن في مكانه، إلا قلبي الفوضوي يعمّ بالضجيج.

عزيزتي، لا تعاجليني بالسؤال عن همي فأنا غريب عن حالي، كأني مجرد سائح أو رحال في أرضي، التعب يأخذ مني مأخذه، ولم يعد بريق الكلمات يغريني تلك التي أحملها على كاهلي أكثر مما تحملها معانيها، حضوري يشبه الغياب وبين هذا وذاك لا زلت أنا هنا هائماً في عالم ما

من خارطة أوهامي، منجذباً لحافة المنحدر، تستهويني لديه لذة السقوط الحتمي، راغباً في الموت بشدة، منتشياً بفكرة التلاشي، بهوان نفسي على ذاتي، بحياة أخرى دون ألوان، دون بداية أو أحداث، دون مقاومة، إنما استسلام استسلام فقط، وبين التقدم والرجوع تأتي الأسئلة المنهمرة طريحة الضياع: من؟ لماذا؟ ما السبب؟ إلى متى؟ أتمنى حينها لو يأتي صوت من دبري بردّ بسيط يطبطب على حقيبة أفكاري المتخبطة، لكنني للأسف وللمرة الأخيرة لا أسمع سوى صدى داخلي يردد إجابات مبهمة مستترة عني ربما من شدة اليأس، ربما من شدة الغضب، ربما من شدة الذعر، ربما وربما وربما... لكن رغم كل تلك الربمات ما زالت النهاية واحدة "حيّ على الغياب"

أيتها المستبدة، ليس من العدل أن تشهري كل أسلحتك في وجهي دفعة واحدة، وأن تلطميني على خدي بكفوف لا أقوى على إحصائها. لو أنك حاربتني بشرف لو أنك راعيتي اني وحيداً أعزل ضدك لما فشلت فشلا ذريعا، لما أقدمت على خطوتي الأخيرة واستعجلت

لأفتك بروحي، لأنتزع عمري مني، وأجر بيدي جسدي حتى يدفن بلا تردد تحت ترابك الأجحد.

بيروت، لبنان

١ حزيران ١٩٩٨

# سري الكبير

حبيبي عذراً صديقي،

لساني مثقلاً بالحيرة وصمتي مفرطاً في سكاته، حالتي معقدة أكثر مما ينبغي وأود إخبارك بالكثير من الأشياء، أصوات عشوائيّة مُشَوَّشَة تلازم ضباب بَوْحي تُفْسِد عليّ هدوء مآتم صبري المقامة بين أضلعي و تُشَوِّه صورة الكلمات المطبوعة على خارطة ذاكرتي، فتدفعني لأثرثر على مسامعك في هذا الصباح حديث لا ينسى.

سِرّي الكبير، أفلت يدي الآن لِتَرُصّ لك مراسم استحضارك إلّا أنّي لا أدري من أين أبدأ، لا عن ماذا سأحدّثك و لا ماذا أريد أن أقول، لكن كل ما أرغب به في هذا الوقت المستقطع أن أركن شعور الندم للحظات كي أكتب لك نصّاً مختلفاً عمّا سبق ووصل لك من رسائلي، التي كنت أنت فيها بطلي الوحيد والتي أجدت قراءة أبجديتها ولم تنجح يوما بلمس مضمونها...لكن بداية احذرك من أن تأخذ كلامي

على محمل اللوم فلم يكن ذنبك أنك لم تتقن تصفح داخلي، ولا أنك لم تفقه قواعد الصرف و أصولها، كل ما في الأمر أنني سأخبرك الآن بما يعتريني بعد أن تخطى الوضع طاقتي، بعد أن فاضت حنجرتي بأقوال متحشرجة مأجلة، و بعد أن تشوّهت روحي المستهلكة من فرط حبي مبتور الجناح، المبهم الغريب بما فيه من مشاعر جميلة إلى حد المرورة، ومتطرفة إلى حد الخطورة. ممم عزيزي، " أحببتك أجل أجل أحببتك دون قرار مسبق و قلبت موازيني على غفلة مني" فَلطالما كنتَ شريك أفكاري، مرآة وحشتي وخليل سهادي، لطالما أخبرتك أنّك أنتَ استثنائي الوحيد الذي أقف أمامه كورقة بيضاء دون إضافات أو مقدمات ودون أن أخشى انتقاد، لطالما هرولتُ إليك لِتُرَبِّت بيدك على وجعي وتهشّ عن كاهلي مخاوفي، لكنني للأسف، رغم كل ذلك لم أستجمع شجاعتي يوماً لِأقاسمك أخطر أسراري، لم أقوَ على إخبارك أنّ كل دروبي كانت تودي إليك حتى وإن تناسيت وجهتَك، لم أصف لك حالة قلبي الحرجة بحضورك السارق لِأنفاسي، لا عن دقاته التي تفرّ هاربة من سجنها كلّما ذكرت إسمي، ولا عن فوضى حواسي

لسلامك الراقي، لم أخبركَ عن أصوات الأفراح التي تقام في حصون صدري كلّما حاصرت مقلتاك وجهي ولا عن أصوات التهليلات المتفجرة بأحشائي كلّما خصصتني بابتسامتك المهلكة لضغط دمي، فأجدت إخفاء اعترافاتي بعيداً عن متناول بِئْرك السحيق لأن بقدر ما كان فعل صداقتك مفعم بالسكينة بقدر ما جاء فعل حبك مخدراً بالخيبة.

يا رفيق عمري الذي لا أستغني عنه، ربما أغضبتك جرأة كلماتي، ربما أعدت إلتهامها مرة اثنين أو مئة خشية أن تكن مجرد هلوسات صباحية، وربما أمسكت قلمك لتكتب رداً يليق بي لكن المحزن بالأمر الآن أنّي لم أعد أنتظر ردك... ملجئي وخذلاني أنت...

عكار العتيقة، لبنان

١٨ كانون الثاني، ٢٠٠٢

## رسالة إلى نفسي في المستقبل

أنا العزيزة، لأجلكِ وللمرة الأولى لن أسلك طريق الأسطر متناسية مقدمتي بيضاء عسى أن ترتدّي إليها ذات حنين لتغدقيها بشيء من الأشواق والفرح، مثلما سأترك قسوة ألفاظي تهرب بعيدا عن حبري، بعد أن عجز تفكيري في العثور على محتوى ما سأكتبه إليك قبل أن أدس رسالتي بين أطراف الأيام المهترئة، لأعود إليها ربما بعد أشهر ربما بعد أعوام أو ربما لا أعود يوما...

عزيزة أنتِ يا نفسي، لن أسألك عن حالك فأنا أعرف مليا أن كل شيء هنا قد ترك بين صفائح جلدك ندبة و بين أشباه أرواحك الأربعين أثر، لذا سأدع فضولي هذا جانبا وأسألك عن الفاصل الزمني الذي يتبع نقطة استفهامي، وأرجو أن تعذريني مسبقا على تدخلي لأنني لا أملك من أمري شيء في حين أن عنقي مليئ بالتساؤلات الصامتة عن المرات التي وقفتِ وحيدة فيها مجابهة عالمين متناقضين، تطرقين بقدمك اليمنى بقعة الوحدة المتفشية في أطرافي وتغرسين الأخرى بأرض

الخيالات الشاردة المستشرية في قلبي، بينما أنتِ منتصبة هناك مترنحة مفتتة بين هذا وذاك تنازعين قسرا خيبات ذهبت ووعود أجلت، بداية خيرت ونهاية أجبرت، سأسلك أيضا عن عدد غصاتك التي فاحت منها رائحة الحزن وهي تلوك رحيق الآمال المرتعشة، وعن أكوام الخذلان التي كبلتك زمنا في دجى ليل سرمدي متسلية في تحريكك كدمية بخيوط من وهم حتى تسأم و تسلمك إلى ذاكرة متقطعة الأوصال مضرجة بالضياع فيما أنك منتهجة درب البكم والعمى بكل ما فيكِ من أفكار عشوائية خرقاء و عينان شاحبتان غارقتان بالسواد الملتف حول عقارب الوقت المتقرحة... أما عن الآن عزيزتي وبعد مرور زمن أظن أنني لست بحاجة لتقفي أخبارك بعد أن بت ترين المشهد أوضح متقمصة دور بطلة الرواية، نافضة عنكِ غبار الواقع المشؤوم المتلحف بأضغاث اليأس، مختلقة لذاتك حقائق صادقة معسولة مزدحمة بالأمنيات المرجوّة المدروزة على جبهتك الموقّرة لتسيري بها إلى نقطة التغيير، إلى دروب تودي بكِ نحو هويتك

المرسومة في أحلام يقظتك مكتسبة من جديد ثقتك في حياة بشوشة مشبعة بمستقبل منهمر.

يا نفسي المستقبلية، لا أبالغ إن وصفتك ببر الأمان رغم تاريخنا الطويل المحفوف بالحروب، المشبع بسعادة مشوهة وطمأنينة مسروقة، كما أود أن أشكرك على مساندتك لي وأعدك أنني سأجعلك تفتخرين بي حين أعود إليك منتصرًا، أما رجائي العظيم وقتها... ألا أخسرك بعد ذلك...

عكار العتيقة، لبنان

٣٠ حزيران ١٩٩٦

## وصيتي

يقال أن للرسائل روح تفرح معنا و تحزن لأجلنا تنبض بحبرنا وتذبل بإهمالنا، تضيء ببوحنا وتنطفئ بكتماننا.... فلأجلكم و لأجل غيركم لا تزهقوا تلك الأرواح ولا تكسروا خواطر الحروف، اكتبوا تكلموا اصرخوا واجهوا... قبل أن تمحى السطور قبل أن تدق ساعة الأفول وقبل أن تطوى الصُحف وتغلق أبواب الكلام

الإهداء ..... 3

سائل للتلف ..... 4

عزيزي خفيف الظل ..... 5

عزيزي يا صاحب الظل الطريف ..... 7

عزيزي يا صاحب الظل الباهت ..... 9

عزيزي يا صاحب الدم الخفيف ..... 11

عزيزي يا صاحب القلب اللطيف ..... 13

عزيزي يا صاحب الظل العنيد ..... 15

عزيزي يا صاحب القلب الحبيب ..... 17

عزيزي يا صاحب الصورة المخفية ..... 19

عزيزي يا صاحب العيون السوداء ..... 21

مرحبا أرقي العزيز ..... 23

عزيزي يا صاحب المعطف المبلول ..... 25

صباح الخير عقلي المرهق ..... 28

يا صاحبة الشعر الغجري ..... 30

مرحبا يا حلوة أكتوبر ..... 33
عزيزتي يا صاحبة المنديل المعطر ..... 35
رسالة إلى نفسي ..... 37
يا ساكنة هذا القلب المعطوب ..... 39
عزيزي ديسمبر ..... 41
عزيزي سيدي المحذوف ..... 43
يا صاحب الضمير المخدر ..... 45
الرسالة الأخيرة ..... 48
رسائل مؤرشفة ..... 51
أختي العزيزة ..... 52
سلاما أمي الحبيبة ..... 55
رسالة مسجون ..... 57
رسالة إلى سيدي الصامت ..... 59
حبيبتي أمي ..... 62
رسالة إلى خوفي ..... 64
فقيدة قلبي ..... 67
رسالة من فتاة عجوز مترفة لطبيب نفسي ..... 70

رسالة من معلمة ..... 73

رسالة إلى مرض السرطان ..... 76

رسالة إلى خائنة ..... 79

جدتي الحلوة ..... 82

رسالة اعتذار ..... 85

رسالة اعتراف ..... 88

رجاء أخير ..... 91

رسالة إلى ميتة ..... 94

رسالة إلى الحياة ..... 97

سري الكبير ..... 100

رسالة إلى نفسي في المستقبل ..... 103

وصيتي ..... 106